الدلالة وأثرها في بناء الجموع في المقامة الوعظية للهمذاني مقاربة في ضوء علم اللغة النفسي

إعداد

د. حامد محمد عبد العزيز أيوب

أستاذ النحو والصرف والعروض المشارك

بجامعة الجوف –السعودية

(العدد الرابع والثلاثون)

(الإصدار الثاني .. أكتوبر)

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م)

الدلالة وأثرها في بناء الجموع في المقامة الوعظية للهمذاني مقاربة في ضوء علم اللغة النفسي

حامد محمد عبد العزيز أيوب
قسم النحو والصرف والعروض، جامعة الجوف –السعودية.
البريد الإلكتروني: Drhrabie_text21@yahoo.com

ملخص البحث:

ينبري هذا البحث لبيان العلاقة بين الدلالة والبناء من خلال دراسة الدلالة وأثرها في بناء الجموع في المقامة الوعظية للهمذاني في ضوء علم اللغة النفسي لسببين الأول: أن فنَّ المقامة فنٌّ أدبيٌّ نثريٌّ أصَّلَه الهمذاني، وسار على دربه من أتي بعده مثل الحريري، وعُرِف بتعدد موضوعاته، وتعبيره الصادق عن عصر صاحبه وما يدور في نفسه من أحاسيس أو انفعالات في لغة مختارة، أما السبب الآخر: فهو استكناه أثر الدلالة في بناء الجموع في المقامة الوعظية للهمذاني في ضوء علم اللغة النفسي؛ لتعدد صيغها، وتعبيرها عن مواعظ استقرت في نفس مبدعها، وذلك باستخدام المنهج الوصفي الاستقرائي الإحصائي القائم على تتبع هذه الأبنية وتحليلها في سياقاتها في ضوء علم اللغة النفسي، ومن أهم نتائج البحث أن الدلالة أثرت في لغة المقامة؛ فجاءت متسقة مع ما رامه الهمذاني، وأداة طيعة للتأثير في نفس المتلقي وسلوكه، وأن أبنية القلة دلت على الكثرة؛ وكان للقرائن واللغة بمستوياتها دورهما في توجيه الدلالات النفسية للألفاظ، وأن الجموع قد بلغ عددها أربعة وسبعين لفظًا، وأن كل الجموع التي وردت في المقامة كانت مطردة، ولم يلجأ إلى السماع إلا في موضعين.

الكلمات المفتاحية: المقامة – علم اللغة النفسي – الدلالة – جموع الكثرة – جموع القلة.

Significance and its impact on building crowds in the preaching standing of Al-Hamdani: An approach in the light of psycholinguistics

Hamed Mohamed Abdel Aziz Ayoub
Department of grammar, morphology and presentations, Al-Jouf University - Saudi Arabia.
Email: Drhrabie_text21@yahoo.com

Abstract: This research aims to clarify the relationship between semantics and construction through the study of semantics and its impact on crowd building in the preaching maqamat of al-Hamdani in the light of psycholinguistics for two reasons: the first is that the art of maqamah is a literary and prose art of al-Hamadhani's origin, and he followed his path like al-Hariri, and he was known for his multiplicity of subjects, And his sincere expression of the age of its owner and the feelings or emotions that revolve in him in a selected language, as for the other reason: he found the effect of significance in building crowds in the preaching standing of Al-Hamadhani in the light of psycholinguistics; Because of the multiplicity of its formulas, and its expression of sermons that settled in the same creator, using the descriptive inductive-statistical approach based on tracking these buildings and analyzing them in their contexts in the light of psycholinguistics. So it was consistent with what Al-Hamadhani aimed at, and a malleable tool to influence the recipient's psyche and behavior, and that the buildings of the few indicated the abundance; Evidence and the language at its levels had a role in directing the psychological connotations of the words, and that the total number had reached seventy-four words, and that all the masses that were mentioned in the maqam were steady, and he did not resort to listening except in two places.

key words: Standing - psycholinguistics - semantics - the multitudes abundance - the multitudes few.

المقدمة:

ظلت المقامة فنًّا أدبيًّا له مقوماته البنائية التي عُرف بها، واتسمت بواقعيتها في التعبير عن الحياة الاجتماعية السائدة في بغداد عاصمة الثقافة العربية، مع جمعها بين المتعة وبلاغة اللفظ، ويأتي هذا البحث لدراسة الدلالة وأثرها في أبنية الجموع في المقامة الوعظية للهمذاني مقاربة في ضوء علم اللغة النفسي لسببين الأول: أن فنَّ المقامة فنٌّ أدبيٌّ نثريٌّ أصَّلَه الهمذاني وسار على دربه من أتي بعده مثل الحريري، وعُرِف بتعدد موضوعاته، وتعبيره الصادق عن عصر صاحبه و ما يدور في نفسه من أحاسيس أو انفعالات في لغة مختارة ، أما السبب الآخر: فهو استكناه أثر أبنية الجموع في الكشف عن مرام الهمذاني في مقامته الوعظية في ضوء علم اللغة النفسي.

أسئلة الدراسة:

يقوم البحث على سؤال جوهري هو: ما أبنية الجموع في المقامة الوعظية، وما دورها في البوح عما رامه الهمذاني؟ وينبثق عن هذا السؤال، أسئلة ثانوية، منها:

١-كيف تعامل الهمذاني مع اللغة، وما الذي اختاره من أبنية الجموع في المقامة الوعظية؟

٢-كيف وظَّف الهمذاني أبنية الجموع سواء أكانت جمع تصحيح أم أبنية جمع التكسير في المقامة الوعظية؟

٣-ما دور أبنية الجموع في الإفصاح عن دلالات النصِّ في المقامة الوعظية في ضوء علم اللغة النفسي؟

أهداف الدراسة وأهميتها:

تكمن أهداف البحث وأهميته فيما يأتي:

١-استقراء أبنية الجموع في المقامة الوعظية، وتحليلها تحليلًا دلاليًّا وَفْقَ سياقاتها في ضوء علم اللغة النفسي.

٢-بيان فاعلية أبنية الجموع في التعبير عن مرام الهمذاني في المقامة الوعظية في ضوء علم اللغة النفسي.

الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات التي تناولت مقامات الهمذاني، وتعددت الدراسات الصرفية التي تناولت أبنية جموع التصحيح وجموع التكسير بالدراسة النظرية والتطبيقية، لكن الباحث لم يجد دراسة صرفية دلالية تناولت الدلالة وأثرها في بناء الجموع في المقامة الوعظية على نحو ما قدمته هذه الدراسة.

أما منهج الدراسة، وإجراءاتها:

فهو المنهج الوصفي الاستقرائي الإحصائي القائم على تتبع أبنية الجموع في المقامة الوعظية، وتحليل شواهدها، وبيان أثرها الدلالي وَفْقَ سياقاتها في ضوء علم اللغة النفسي؛ للخروج بأهم النتائج.

حدود الدراسة:

المقامة الوعظية هي المقامة السادسة والعشرون من مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني شرحها ووقف على طبعها محمد محيي الدين عبدالحميد، وعُنِي بنشرها محمد سعيد الرافع صاحب المكتبة الأزهرية، سنة ١٣٤٢هـ-١٩٢٣م.

خطة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد ومبحثين الأول: الدلالة وأثرها في أبنية جمع التصحيح في المقامة الوعظية في ضوء علم اللغة النفسي، والآخر: الدلالة وأثرها في أبنية جموع التكسير في المقامة الوعظية في ضوء علم اللغة النفسي، ثم خاتمة ضمَّت أهم النتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد:

لعل من تمام الفائدة أن نقدم في هذا التمهيد تعريفًا موجزًا بأهم مصطلحي الدراسة وهما؛ المقامة، وعلم اللغة النفسي، ثم بيان العلاقة بين اللغة وعلم النفس، وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولًا: تعريف المقامة لغة واصطلاحًا:

يدور المعنى اللغوي للمَقامة: حول المَوْضِع، والمَجْلِس، والقوم يجتمعون في المَجْلِس، وتجمع على مقامات(١). أما المقامة اصطلاحًا: فهي" حديث قصير ... بديع الزمان حاول أن يجعله مشوِّقًا فأجراه في شكل قصصي"(٢).

ثانيًا: تعريف علم اللغة النفسي، والعلاقة بين اللغة وعلم النفس:

علم اللغة النفسي تتقاطع فيه خيوط الظاهرة النفسية واللغة بوصفها ظاهرة نفسية تعبر عن عوالم الإنسان الداخلي، ومع تعدد تعريفات علم اللغة النفسي إلا أنها تتفق على أنه:" علم يهتم بدراسة السلوك اللغوي للإنسان، والعمليات النفسية العقلية المعرفية التي تحدث في أثناء فهم اللغة واستعمالها التي ... بها يكتسب الإنسان اللغة"(٣)

أما العلاقة بين اللغة وعلم النفس، فإن ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في حده للغة بقوله: "إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(٤) يشير في عبارة موجزة تمثل نواة حقيقة لعلاقة علم اللغة بعلم النفس، فاللغة كما تشي عبارته

---

(١) ينظر ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، د. ت، ج١٢/ ٥٠٦

(٢) لجنة من أدباء الأقطار العربية: المقامة، تقديم د. شوقي ضيف، دار المعارف، بمصر، ط٣، د. ت، ص ٨

(٣) العصيلي: د. عبدالعزيز بن إبراهيم، علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٦م، ص٢٧

(٤) ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، د. ت، ج١/٣٣

وسيلةُ اتصالٍ بين طرفين، ومفتاحُ شخصية كل طرف، ومعبرةٌ عن أفكاره وسلوكه، وهي لا شك في هذا تختلف من طرف إلى آخر.

لقد أضحت الدراسات اللغوية الحديثة مركز استقطاب لكثير من العلوم؛ لتفيد من أدواتها في التحليل، ويعد علم النفس واحدًا من هذه العلوم التي أولت اللغة اهتمامًا كبيرًا، ولعل ظهور مصطلح علم اللغة النفسي(١) يؤكد العلاقة الوثيقة بين علم اللغة وعلم النفس، فاللغة من حيث حقيقتها ووظيفتها ترتبط بأربعة مكونات رئيسة للإنسان منها النفسي(٢)، وهنا يقول الدكتور العصيلي "إذ لا يطلق على الكلام لغة إلا إذا أدى وظيفة نفسية...كما أن اللغة لا يمكن دراستها بمعزل عن العوامل النفسية ..." (٣)، إذ إن اللغة ترجمان النفس و مفصحة عما بداخلها من مشاعر سواء أكانت إيجابية أم سلبية؛ فالعلاقة بين اللغة والنفس علاقة تبادلية تكاملية لا ينفك أحدهما عن صاحبه تأثيرًا وتأثرًا(٤)، واللغة التواصلية تحمل أفكارًا وانفعالاتٍ معًا؛ "فالألفاظ –بمعناها القاموسي–لا تعطي تلك الدلالات المتعلقة بالجوانب النفسية(٥)"؛ لأن كل لفظٍ في الغالب له "قيمة انفعالية معينة"(٦)، بل إن اللفظ لا يحمل الشحنة الانفعالية نفسها مع تكراره، وتتعدد الانفعالات المرتبطة بالألفاظ بتعدد سياق الحديث؛ ومن هنا تتنوع الدلالات .

(١) ينظر: العصيلي: د. عبدالعزيز بن إبراهيم، علم اللغة النفسي، ص٢٩

(٢) السعران ، د. محمود : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية ، بيروت ص٧٣

(٣) العصيلي: د. عبدالعزيز بن إبراهيم، علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٦م، ص ٣٣

(٤) ينظر: الهدهد، د. سوسن: لغة القرآن في قصة أصحاب الجنة (دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي)، مجلة الزهراء، العدد الثلاثون، الجزء الأول، ٢٠٢٠م، ص ٥٥٩

(٥) هلال: د. عبدالغفار حامد: علم اللغة بين القديم والحديث، ط٤، ٢٠٠٢م، ص ١١٠

(٦) عطية: د. نوال محمد: علم النفس اللغوي، المكتبة الأكاديمية، بالقاهرة، ط٣، ١٩٩٥م، ص ٦٠.

المبحث الأول

الدلالة وأثرها في أبنية جمع التصحيح

في المقامة الوعظية في ضوء علم اللغة النفسي

قيل لكل جمع سلم فيه بناء الواحد، ولم يتغير[١] جمع التصحيح أو جمع السالم، وهو على نوعين، أحدهما: جمع المذكر السالم، ويُعرف بالجمع الذي على حد التثنية؛ " لسلامةِ صدره كما كان المثنّى كذلك"[٢]، أو لأنه أعرب بالحرفين (الواو رفعًا، والياء نصبًا وجرًّا) [٣]، ويسمى بالجمع الذي على هجاءين؛ لأنه مرة بالواو والنون في حالة الرفع، وأخرى: بالياء والنون في حالتي النصب والجر[٤]، **أما النوع الآخر**: فهو ما جمع بالألف والتاء المزيدتين وهو نظير مَا جمع بِالْوَاو وَالنُّون في الْمُذكر؛ وسلم فيه بناء الواحد "وَالتَّاء دَلِيل التَّأْنِيث"[٥]، ولم يُسمَّ بجمع المؤنث السالم لدى كثير من النحاة الأوائل لسببين الأول: أن مفرده قد يكون مذكرًا نحو سرادقات ومفرده سرادق، والآخر: أنه قد يدخله شيء من التغيير نحو سُعْدى وجمعها سُعْديات"[٦]، أما دلالة هذا الجمع فهي القلة حملًا على المثنى، والمراد بالقلة أنه لا يجمع عليه

---

(١) ينظر المبرد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م.، ج١/١٤٣، والعكبري: أبو البقاء: اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: د. غازي مختار طليمات، دار الفكر – دمشق، ط١، ١٩٩٥م، ج١/١١٢، و ابن يعيش: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، د. ت، ج٥/٢.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ج٥/٢

(٣) ينظر: الأزهري: خالد: شرح التصريح على التوضيح، وبهامشه حاشيته للشيخ يس بن زين الدين العليمي الحمصي رخمه الله دار الفكر للطباعة والنشر، د. ت، ج٢/٢٩٦.

(٤) شرح المفصل، ج٥/ ٢، و ينظر: شرح التصريح على التوضيح، ج٢/٢٩٦.

(٥) المبرد: المقتضب، ج٣/ ٣٣١.

(٦) عبدالعال: عبدالمنعم سيد: جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، د. ت، ص ٢٠

إلا من الثلاثة إلى العشرة، وإذا أطلق تُجاه الكثرة، فهذا كما قال ابن يعيش "فتجَوُّزٌ"[(١)]؛ وهناك من يرى صلاحية هذا الجمع للأمرين[(٢)]، والثابت أن جمع القلة يوضع موضع جمع الكثرة؛ ومرد هذا كما يقول الزركشي: "لِاشْتِرَاكِهَا فِي مُطْلَقِ الْجَمْعِيَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ (سبأ: من الآية ٣٧) فَإِنَّ الْمَجْمُوعَ بِالْأَلِفِ وَالتَّاءِ لِلْقِلَّةِ وَغُرَفُ الْجَنَّةِ لَا تُحْصَى"[(٣)]، فقد دل لفظ (الْغُرُفَاتِ) المجموع بالألف والتاء على الكثرة العددية بقرينتين الأولى: عقلية إذ إن الجنة لا يمكن أن تكون غرفها بين الثلاثة والعشرة ؛لأن الله جل شأنه وصفها بقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: من الآية ١٣٣) ، ومن هنا فهي لا حصر لها وعلمها عند خالقها، وأكد ذلك جمعها في موضع آخر جمع تكسير في قوله سبحانه: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ (الزمر من الآية ٢٠)، وأما القرينة الأخرى: فهي سياقية، فقد ورد الجمع في إطار الجملة الاسمية الموحية بثبات الجزاء وملازمته للمؤمنين، ومن عملوا الصالحات، واختيار المبتدأ (هم) ضمير الجمع للغائبين يشي بالكثرة؛ لأن مرجعه كما ورد في الآية الكريمة ﴿مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (- سبأ: من الآية ٣٧) ، ثم مجيء الخبر (آمِنُونَ) جمع مذكر سالم، فهو بمعنى (يأمنون) ؛ لدلالته على إرادة الحدث[(٤)]؛ لجريان الصفة "مجرى الفعل"[(٥)].

---

(١) ابن يعيش: شرح المفصل، ٣/٥، وينظر سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د. ت، ج٥٦٧/٣

(٢) ينظر عبدالعال: جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية، ص ٩.

(٣) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث بالقاهرة، د. ت، ج ٣٥٥/٣.

(٤) السامرائي: فاضل صالح: معاني الأبنية العربية، دار عمار الأردن، ط ٢، ٢٠٠٧م، ص١٢٧.

(٥) ابن يعيش: شرح المفصل، ج/٥/٢٧.

وقد ترددت صيغتا جمع التصحيح في المقامة (الوعظية) للهمذاني في سبعة مواضع، وذلك على النحو الآتي:

م	الكلمة	نوع الجمع	وزن الكلمة	عدد مرات تواترها	موضعها بالمقامة
١	وَارِدُو	جمع مذكر سالم	فَاعِلُو	١	١٦٠
٢	المُلْحِدِينَ	جمع مذكر سالم	المُفْعِلين	١	١٦٢
٣	عِضِينَ	جمع مذكر سالم	فِعِيْنَ	١	١٦٢
٤	البَاقُونَ	جمع مذكر سالم	الفَاعُونَ	١	١٦٣
٥	الحَاضِرِينَ	جمع مذكر سالم	الفَاعِلِينَ	١	١٧٣
٦	اللَّذَّاتُ	جمع بالألف والتاء المزيدتين	الفَعْلَات	١	١٦٩
٧	فَجَعاتِهَا	جمع بالألف والتاء المزيدتين	فَعَلَاتها	١	١٦٨

ويمكن تحليل ما ورد بالجدول الإحصائي على النحو الآتي:

أولًا: الدلالة وأثرها في جمع المذكر السالم في المقامة الوعظية في ضوء علم اللغة النفسي:

إن الباحث في علم اللغة النفسي إذا أراد أن يعرف كيف أُنتِجت جملة، وما دلالاتها؟ فعليه أن يعرف المراحل التي مرت بها، وذلك من خلال تحليها صوتيًّا وصرفيًّا ونحويًّا ودلاليًّا، من خلال السياق اللغوي والمقام الاجتماعي الذي أُنتجت فيه، وفي ضوء العلاقة التواصلية بين المتكلم والمستمع(١).

وقد ورد جمع المذكر السالم في المقامة الوعظية في خمسة مواضع، وفيما يلي تحليل هذه المواضع، وبيان دلالاتها:

(١) ينظر العصيلي: علم اللغة النفسي، ص ٥٧، ٥٨.

أ–قال أبو الفتح الإسكندري:" أَيُّها النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدَى، وَإِنَّ مَعَ اليَوْمِ غَداً، وَإِنَّكُمْ **وَارِدُو** هُوَّةٍ"(١).

يشي السياق بأن الله ﷻ لم يخلقنا عبثًا، وإنما لحكمة إلهية، وأننا مهما طال الزمن ملاقوه؛ للحساب والجزاء مصداقًا لقوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: الآية ١١٥.) ، وجاء اختيار لفظ (وَارِدُو) بوزن (فَاعِلُو) وهو جمع مذكر سالم؛ للدلالة على الحدث؛ لشبهه بالفعل المضارع (تردون)، وإذا كان المعنى اللغوي لمادة (و ر د) يدل على البلوغ والوصول دون الدخول(٢)، فإن السياق يوحي بدلالة لفظ "وَارِدُو)) على الدخول مما يدفع أي أمل تحدث الإنسان به نفسه في النجاة من دخول القبر، وأكد ذلك مجيء الجملة الاسمية المنسوخة المؤكدة بالناسخ في قوله " وَإِنَّكُمْ **وَارِدُو** هُوَّةٍ" واسمها ضمير الجمع للمخاطبين مما يدل على الشمول، ثم إضافة الخبر (وَارِدُو) إلى (هُوَّةٍ) ليوحي بحتمية هذا المصير، وكأن المتكلم ينظر إلى قوله جلّ شأنه " كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ " (الرحمن: الآية ٢٦).

ب–قوله:" كَذَبَتْ ظُنُونُ **المُلْحِدِينَ**، الَّذِينَ جَحَدُوا الدِّينَ، وَجَعَلُوا القُرْآنَ **عِضِينَ**"(٣).

إن اختيار التعبير بلفظ (المُلْحِدِينَ) الذي جاء على وزن (المُفْعِلين) دون استخدام لفظ (الملاحدة)؛ حقق دلالتين نفسيتين الأولى: احتقار هؤلاء الملحدين، والتقليل من شأنهم رغم نشرهم الكثير من الظنون، فهم قلة ذليلة منحصرة مندحرة مهما كثروا أو ظنوا كثرتهم، وزاد من توكيد هذا استخدام الفعل الماضي (كَذَبَتْ) الذي يسقط كل ما أتوا به، من إنكارهم الدين،

(١) الهمذاني: مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني شرحها ووقف على طبعها محمد محيي الدين عبدالحميد، وعُنِي بنشرها محمد سعيد الرافع صاحب المكتبة الأزهرية، ١٩٢٣م، ص١٦٠

(٢) ينظر ابن منظور: لسان العرب مادة (ورد) ج٣/٤٥٧.

(٣) مقامات الهمذاني، ص١٦٢.

واستكبارهم عن الاستجابة لرسول الله ﷺ، أما الدلالة الأخرى: فهي بث الطمأنينة في نفوس المؤمنين؛ فهم الغالبون، وإن قل عددهم؛ لأنهم على الحق.

ودلت بنية (عِضِينَ) جمع عضة[١] التي جاءت على وزن (فِعِيْنَ) على الكثرة بقرينتين؛ الأولى: عقلية إذ إن الملحدين أكثروا من الافتراء على الله كذبًا، ووصفوا القرآن الكريم بما ليس فيه؛ فزعموا أنه "سحر، وقال بعضهم: هو شعرٌ، وقال بعضهم هو: كَهانةٌ"[٢]، أما القرينة الأخرى فهي سياقية إذ إن لفظ (عضين) ورد متسقًا مع لفظ (ظنون)؛ ليؤكدا الكثرة فيما جُبلت عليه نفوس الملحدين، وهي كثرة الظنون، والافتراءات.

ج–قوله:" وَالنَّاسُ رَجُلاَنِ: عَالِمٌ يَرْعَى، وَمُتَعَلِّمٌ يَسْعَى، **وَالبَاقُونَ** هامِلُ نَعامٍ، وَرَاتِعُ أَنْعَامٍ"[٣]

إن المبدع في قراءته للنفس البشرية من خلال تجاربه الكثيرة، ينتهي بنا إلى تقسيم الناس إلى فريقين؛ ولا يعد إنسانًا من يخرج عنهما، وهما: العالم والمتعلم، لكن يبدو أنهما قلة، لقوله: و(البَاقُونَ) وهو جمع مذكر سالم على وزن (الفَاعُونَ) حذفت الياء من الاسم المنقوص "وضُمَّ ما قبل الواو"[٤]، وهذا الاسم يدل على الكثرة بدلالة السياق في عطفه على المفرد (وَمُتَعَلِّمٌ)، فعطف المفرد والجمع ووضعها في مقابلة ضدية، يوحي باستشفاف المبدع لسنة

(١) ينظر ابن منظور: لسان العرب: مادة (ع ض و) ج٥١٦/١٣.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠١م، ج١٣٨/١٤.

(٣) مقامات الهمذاني، ص١٦٣

(٤) ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث –القاهرة، ط٢٠، ١٩٨٠ م، ج١٠٩/٤.

كونية، وهي خيرية القلة ومدحها، وذم الكثرة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم، من الآية ٦).

د-قال أبو الفتح الإسكندري:" قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ لِبَعْضِ **الحَاضِرِينَ**: مَنْ هَذا؟"[١]

يرد جمع المذكر السالم (الحَاضِرِينَ) على وزن (الفَاعِلِينَ) للدلالة على القلة، بدلًا من قوله (الحُضور) وهو جمع تكسير الذي يدل على الكثرة، وذلك مراعاة لحال موقف الوعظ الذي يقتضي الهدوء والسكينة، وأكد السياق ذلك بقوله (لِبَعْضِ) فالسؤال كان لقلة، ولم يكن عامًا، فالسائل يراعي حال المخاطبين وما هم عليه.

ثانيًا: الدلالة وأثرها فيما جمع بالألف والتاء المزيدتين في المقامة الوعظية في ضوء علم اللغة النفسي:

ورد ما جمع بالألف والتاء المزيدتين في المقامة الوعظية في موضعين، على النحو الآتي:

أ-هو قوله:"

أَلاَ، لاَ، وَلكِنَّا نَغُرُّ نُفوسنا وَتَشْغَلُهَا **اللَّذَّاتُ** عَمَّا نُحَاذِرُ"[٢]

إن المتأمل في هذا السياق يرى أن اختيار المبدع للفظ (اللَّذَّاتُ) على وزن (الفَعْلَات) يدل على القلة؛ بقرينتين أولاهما: الصيغة، وأما الأخرى: فهي عقلية وهي علمه أن الدنيا متاعها قليل زائل، ولا أمل في ديمومتها مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ (الكهف، من الآية ٧٧)، وجاء السياق لينفي عن نفسه أي رغبة في الحرص عليها والانشغال عن موعده، وهو الموت؛ وذلك في جوابه بالنفي القاطع في قوله (أَلاَ، لاَ...)؛ ثم هو يقرأ ما يشغل النفوس الضعيفة، من لذات تبعدها عما

(١) مقامات الهمذاني، ص١٧٣.

(٢) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٩

يجب الحذر منه، وجاء التعبير عنها بصيغة جمع التكسير (نفوسنا) بوزن (فُعُول)؛ ليوحي بالكثرة في مقابل القليل الزائل، واختيار التعبير بالفعل المضارع في قوله (نَغُرُّ، وَتَشْغَلُهَا، و تُحَاذِرُ) يوحي بتجدد الأمر واستمراريته.

ب-ومنه قوله:"

وَفي دُونِ مَا عَايَنْتَ مِنْ **فَجَعاتِهَا** إِلَى رَفْضِهَا دَاعٍ وَبالزُّهْدِ آمِرُ "(١)

إن المبدع في اختياره لأبنيته الصرفية يشي بخبرته ببواطن النفس الإنسانية، وعلمه بما يردعها عن غيها، ويردها إلى الحق والرشد، ففي قوله (فَجَعاتِهَا) وهو مما جمع بالألف والتاء المزيدتين يدل على كثرة أفعال الدنيا بالإنسان، وهذا يؤكده السياق؛ لتعريفها بالإضافة، ثم قوله "وفي (وَفي دُونِ)، واختياره حرف الجر (من) الذي يدل على السببية؛ لزجر النفس بالقليل، كما دلت القرينة العقلية على الكثرة ؛لأن الواعظ استقر لديه ما قاله الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَان فِي كَبَد ﴾ (البلد، الآية ٤.) ، فالدنيا جُبلت على كدر، وفجعاتها لا تنتهي ، ثم ها هو ابن الرومي يقول في فجعات الدهر من (الطويل):"

عزاؤكَ أن الدهرَ ذو فَجعاتِ وكلُّ جميعٍ صائرٌ لشَتاتِ"(٢)

(١) مقامات الهمذاني، ص١٦٨.

(٢) ابن الرومي: ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م، ج ٢٦١/١.

المبحث الثاني
الدلالة وأثرها في أبنية جموع التكسير
في المقامة الوعظية في ضوء علم اللغة النفسي

جمع التكسير: هو ما دل على أكثر من اثنين بتكسير بنية مفرده ويشمل العاقل وغير العاقل مذكرًا كان أو مؤنثًا(١)، ويرى الدكتور محمود الطناحي(٢) أن ابن السراج أول من علل سر التسمية بقوله :" هذا الجمع يسمى مكسرًا؛ لأن بناء الواحد فيه قد غُير عما كان عليه فكأنه قد كُسِّرَ؛ لأن كسر كل شيءٍ تغييره عما كان عليه"(٣)، وهذا التغيير أو الكسر قد يكون بالزيادة نحو رَجُل رَجْلان جمعها رِجَال، أو بالنقص نحو: خِمَار وجمعها خُمُر، أو بتغيير البناء نحو أَسَد جمعها أُسْد(٤) وهذا الجمع على قسمين أولهما جموع القلة ويطلق على أدنى العدد من ثلاثة إلى عشرة، وله أربعة أوزان مختصة هي: أَفْعُل، وأَفْعَال، وأَفْعِلة، وفِعْلَة والآخر: جموع كثرة و يطلق على ما فوق العشرة إلى ما لانهاية، وله ثلاثة وعشرون وزنًا لكل وزن منها ضوابطه الخاصة(٥).

وقد ورد جمع التكسير بنوعيه في المقامة الوعظية في تسعة وخمسين موضعًا، منها جموع القلة في اثني عشر موضعًا، أما جموع الكثرة فوردت في سبعة وأربعين موضعًا، ويمكن بيان دلالاتها في ضوء علم اللغة النفسي على النحو الآتي:

---

(١) ينظر: ابن جني: اللمع في العربية، تحقيق د. سميح أبو مغلي، دار مجدولاي، عمان، ١٩٨٨م، ص٢٧.

(٢) ينظر: الطناحي: د. محمود: جموع التكسير والعرف اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الحادي والسبعون، -١٩٩٢م، ص ١٣٩

(٣) ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ج٢/٤٢٩، وينظر شرح ابن عقيل ج٤/١١٤

(٤) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل ج ٦/٥.

(٥) ينظر سيبويه: الكتاب ج٣/٤٩٠، وينظر: السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع تحقيق وشرح عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٨٠م، ج٦ /٨٧ وما بعدها، ومعاني الأبنية، ص ١١٣

م	الكلمة	نوع الجمع	وزن الكلمة	عدد مرات ورودها	موضعها بالمقامة
١	أَنْهارُها	جمع قلة	أَفْعَال	١	١٦٧
٢	الأيام	جمع قلة	أَفْعَال	١	١٦٥
٣	أَعْوَانٍ	جمع قلة	أَفْعَال	١	١٦٧
٤	أَسْلاَفِكِ	جمع قلة	أَفْعَال	١	١٦٣
٥	آثارُهُمْ	جمع قلة	أَفْعَال	١	١٦٦
٦	أَخْبارُهمْ".	جمع قلة	أَفْعَال	١	١٦٦
٧	أَقْرانِكِ	جمع قلة	أَفْعَال	١	١٦٤
٨	الأَعْلاَقَ	جمع قلة	أَفْعَال	١	١٦٧
٩	أَحْزَانُهُ	جمع قلة	أَفْعَال	١	١٧١
١٠	بِأَئِمَّتِهِمْ	جمع قلة	أَفْعِلة	١	١٦٣
١١	بِأَزِمَّتِهِمْ	جمع قلة	أَفْعِلة	١	١٦٣
١٢	أَيْدي	جمع قلة	أَفْعُل	١	١٦٥
١٣	ظُنُون	جمع كثرة	فَعُول	١	١٦٢
١٤	بُطُون	جمع كثرة	فَعُول	١	١٦٤
١٥	ظُهُور	جمع كثرة	فَعُول	١	١٦٤
١٦	قُرُون	جمع كثرة	فَعُول	٢	١٦٥
١٧	مُلُوك	جمع كثرة	فَعُول	١	١٦٥
١٨	قُبُور	جمع كثرة	فَعُول	١	١٦٦
١٩	رُمُوس	جمع كثرة	فَعُول	١	١٦٧
٢٠	جُنُود	جمع كثرة	فَعُول	١	١٦٧
٢١	حُصُون	جمع كثرة	فَعُول	٢	١٦٧
٢٢	ذُنُوب	جمع كثرة	فَعُول	١	١٧٠
٢٣	هُمُوم	جمع كثرة	فَعُول	١	١٧١
٢٤	مَحَاسِن	جمع كثرة	مَفَاعِل	١	١٦٤
٢٥	مَقَادِر والأصل مقادير	جمع كثرة	مَفَاعِل	١	١٦٤

٢٦	مَجَالِس	جمع كثرة	مَفَاعِل	١	١٦٦
٢٧	مَقاصِرُ	جمع كثرة	مَفَاعِل	١	١٦٦
٢٨	مَكَايد	جمع كثرة	مَفَاعِل	١	١٦٧
٢٩	مَصَايد	جمع كثرة	مَفَاعِل	١	١٦٧
٣٠	مَصَاير	جمع كثرة	مَفَاعِل	١	١٦٩
٣١	مَوَارِد	جمع كثرة	مَفَاعِل	١	١٧٠
٣٢	مَصَادِر	جمع كثرة	مَفَاعِل	١	١٧٠
٣٣	مَعَاذِر	جمع كثرة	مَفَاعِل	١	١٧١
٣٤	مَنَايَا	جمع كثرة	فَعَائِل	١	١٦٤
٣٥	حَفَائِر	جمع كثرة	فَعَائِل	١	١٦٤
٣٦	ذَخَائِر	جمع كثرة	فَعَائِل	١	١٦٧
٣٧	سَرَائِر	جمع كثرة	فَعَائِل	١	١٦٩
٣٨	كَبَائِر	جمع كثرة	فَعَائِل	١	١٧٠
٣٩	خطايا	جمع كثرة	فَعَائِل	١	١٧٠
٤٠	دَسَاكر	جمع كثرة	فَعَالِل	٢	١٦٧
٤١	عَسَاكِر	جمع كثرة	فَعَالِل	٢	١٦٧
٤٢	حَنَاجِر	جمع كثرة	فَعَالِل	١	١٧١
٤٣	العَظامَ	جمع كثرة	فِعَال	١	١٦١
٤٤	عِرَاصُهُمْ	جمع كثرة	فِعَال	١	١٦٤
٤٥	الرِّجَالِ	جمع كثرة	فِعَال	١	١٦٥
٤٦	الأُمَمِ	جمع كثرة	فُعَل	١	١٦٥
٤٧	مُنَاه	جمع كثرة	فُعَل	١	١٦٧
٤٨	بَوَالٍ	جمع كثرة	فَوَاعِل	١	١٦٤
٤٩	دَوَاثِرُ	جمع كثرة	فَوَاعِل	١	١٦٤
٥٠	الأَعَاصِرُ والأصل أعاصير	جمع كثرة	أفَاعِيل	١	١٦٧
٥١	العُلماءُ	جمع كثرة	فُعَلَاء	١	١٦٣

٥٢	فِعْلَان	جمع كثرة	إِخْوَانِكِ	١	١٦٤
٥٣	فُعَّال	جمع كثرة	لِسُكَّانِ	١	١٦٦
٥٤	فُعْل	جمع كثرة	دُورُهُمْ	١	١٦٤
٥٥	فِعَل	جمع كثرة	بَالعِبَرِ	١	١٦١

ويمكن تحليل ما ورد بالجدول الإحصائي على النحو الآتي:

أولًا: الدلالة وأثرها في أبنية جموع القلة في المقامة الوعظية في ضوء علم اللغة النفسي:

وردت جموع القلة في اثني عشر موضعًا، بثلاثة من أوزانها، ويمكن بيانها على النحو الآتي:

١-دلالة صيغة أَفْعَال:

يقرر الصرفيون أن أكثر الجموع سماعية، وقد تطرد في بعض الأوزان، ومن ذلك اطراد بناء (أَفْعَال) للدلالة على القلة فيما:" لا يطرد فيه من الثلاثي أفعُل ..." [(١)]، فيطرد في وزن (فَعْل) معتل العين بالياء أو الواو نحو: بَيْت وأَبْيَات، ثَوْب وأَثْوَاب"[(٢)] أما إذا كان الاسم صحيح العين فإن جمعه للقلة يكون على وزن (أَفْعُل)؛ لأنه الأصل، وبه أحق وأولى[(٣)]، وعلل ذلك ابن يعيش " لخفته وكثرة استعماله"[(٤)] وإذا جاء على (أَفْعَال) نحو فَرْخ وأَفْرَاخ فهذا شاذ[(٥)]، أو نادر[(٦)] لكن هناك من يرى جمع (فَعْل) صحيح العين على (أَفْعَال)

(١) ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج١١٧/٤

(٢) ينظر: السيوطي: همع الهوامع، ج٦/ ٨٨، ٨٩

(٣) ينظر المبرد: المقتضب، ج١٦٧/١، واللباب في علل البناء والإعراب، ج١٨٠/٢.

(٤) ابن يعيش: شرح المفصل، ج١٥/٥، وينظر العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب ج١٨٠/٢.

(٥) ينظر اللباب في علل البناء والإعراب، ج١٨٠/٢، والأزهري: شرح التصريح على التوضيح، ج٢/ ٣٠٢، وابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج١١٧/٤.

(٦) ينظر: السيوطي: همع الهوامع، ج٨٩/٦

يجوز قياسًا[١] والباحث يميل إلى ما ذهب إليه جمهور الصرفيين من كونه شاذًا، ويؤخذ في موضعه ،وأن الأولى أن يُجمع على وزن (أَفْعُل)؛ وقد جاء بناء (أَفْعَال) جمعًا لـ (فَعْل) وهو صحيح العين على غير القياس في موضع واحد هو قوله :"

وَلا دَفَعَتْ عَنْهُ الحُصونُ الَّتي بَنَى وَحَفَّتْ بِها **أَنْهارُها** والدَّساكِرُ "[٢]

في هذا السياق يؤكد المبدع حتمية الموت فلا مفر للإنسان منه مصداقًا لقوله جل شأنه ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (النساء، من الآية ٧٨)، وقد أتى المسلك اللغوي مؤكدًا هذه الدلالة؛ حيث جاء اختيار الجملة الفعلية الماضية المنفية (وَلا دَفَعَتْ) ليؤكد نفي الحماية عن الإنسان، وعدم جدوى الحصون التي بناها، وما يحيط بها من أنهار ودساكر، وقدم الجار والمجرور (عنه) للتخصيص، واختار لفظ (أَنْهَار) على وزن (أَفْعَال) جمع (نَهْر) للدلالة على الكثرة، وتضافرت القرائن اللفظية؛ لتأكيد معنى الكثرة، فترددت دوال الجمع (الحصون، والدساكر) لتنسجم مع مقصدية الأديب، واتضح ذلك في استجابة الصيغ لكل ما يدل على نفاذ قضاء الله في الخلائق.

وأورد الهمذاني بناء (أَفْعَال) جمعًا لـ (فَعْل) معتل العين على القياس في موضعين، هما:

أ-قوله:" انْظُرْ إِلى الأُمَمِ الخَالِيةِ، وَالمُلُوكِ الفَانِيَةِ، كَيْفَ انْتَسَفَتْهُمُ **الأَيَّامُ**..." [٣]

جاء اختيار لفظ (الأيام) على وزن (أَفْعَال) جمع(يَوْم) وهو جمع مقيس؛ للدلالة على كثرة الأيام المهلكة للأمم ، والملوك ، وقد تضافرت القرائن اللفظية؛ لتؤكد هذه الكثرة، فتوالى لفظا جمع الكثرة (الأُمَم، وَالمُلُوكِ) ليبثا في

(١) ينظر عبدالعال: جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية، ص٤١.

(٢) مقامات الهمذاني، ص١٦٧

(٣) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٥.

نفس المخاطب الدلالات النفسية الموحية بالخوف والرهبة من هذا المصير؛ لأنها جزء لا ينفصل عن النظام اللغوي الذي يحملها إذ إن اللغة "تقوم بوظيفتين رئيستين الأولى: التعبير عن الحقائق الموضوعية والأفكار، والأخرى: عاطفية وهي في هذه تعبر عن العواطف والانفعالات وإثارة المشاعر وتؤثر في السلوك الإنساني"(١)، فالأديب قصد التأثير في سلوك المتلقي، وأخذ العبرة من السابقين.

ب–قوله:" كَمْ عَايَنْتَ مِن ذِي عِزَّةٍ وَسُلْطانٍ، وَجُنُودٍ **وَأَعْوَانٍ** قَدْ تَمكَّنَ مِنْ دُنْياهُ... فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ المَنِيَّةِ إِذْ أَتَتْ"(٢)

ورد لفظ (أَعْوَانٍ) جمعًا للمفرد (عَوْن) ليدل على الكثرة، وهذا يتسق مع ما رامه المبدع من إقناع المخاطبين بفكرة الفناء، وذلك من خلال اختيار لغة تخاطب العقل وتحرك النفس بدفعها نحو الحذر من الدنيا، فعبّر عن كثرة المشاهد التي عاينها من أصحاب العزة والسلطان، وما أغناهم ما ملكوا عن الموت، وقد أكد هذه الدلالة تضافر الدوال، وتناسبها مع مقصدية المبدع، فاختار لفظ (كم) الخبرية التي تفيد الكثرة، وذكر لفظ (وَجُنُودٍ) للدلالة على القوة والكثرة.

وجمع الهمذاني ستة ألفاظ قياسًا على وزن (أَفْعَال) غير وزن (فَعْل)، وهي على النحو الآتي:

-فَعَل أَفْعَال:

وقد ورد هذا في ثلاثة مواضع، ويمكن بيانها على النحو الآتي:

أ–قوله:" وَيَقُولُ: يا نَفْسُ حَتَّامَ إِلى الحَياةِ رُكُونُكِ، ... أَما اعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضَى مِنْ **أَسْلافِكِ**"(٣)

(١) ينظر أولمان: ستيفن: دور الكلمة في اللغة، ترجمه وقدم له وعلق عليه د. كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، د. ت، ص٩٢. وما بعدها. بتصرف

(٢) مقامات الهمذاني، ص١٦٧

(٣) الهمذاني مرجع سابق ،١٦٣.

جاء التعبير بلفظ (أَسْلاَفِكِ) على وزن (أَفْعَال) ومفرده (سَلَف) ومعناه" آباؤه المتقدمون "[١]، وهذا الجمع يطرد فيما " كان على ثلاثة أحرف وكان (فَعَلًا) ... نحو جَمَل وأَجْمَال"[٢]، فإذا كان سيبويه يراه لأدنى العدد وهو من ثلاثة إلى عشرة[٣]، أو كما ذهب الرضي" أنه لا يذكر إلا حيث يراد بيان القلة"[٤]، لكن السياق اللغوي يؤكد دلالته هنا على الكثرة ، فقوله " بِمَنْ مَضَى" لا يمكن أن يكونوا قلة ، وإنما كثرة لا يمكن إحصاؤها، وهذا يحقق المقصدية التي سعى إليها الأديب، وهي التأثير النفسي والسلوكي في المتلقي، فيخشى الموت، ويعمل لما بعده .

ب–قوله:" انْظُرْ إِلى الأُمَمِ الخَالِيةِ، وَالمُلُوكِ الفَانِيَةِ، كَيْفَ انْتَسَفَتْهُمُ الأَيَّامُ وَأَفْنَاهُمُ الحِمَامُ؟ فَانْمَحَتْ **آثارُهُمْ**، وَبَقِيَتْ **أَخْبارُهمْ**"[٥].

في هذا السياق ورد لفظ (آثارُهُمْ) على وزن (أَفْعَال) ومفرده (أَثَر)، وورد لفظ (أَخْبارُهمْ) على وزن (أَفْعَال) ومفرده(خَبَر)، وكلا اللفظين يدل على الكثرة؛ بقرينتين الأولى عقلية؛ لأن الموت لن يمحو آثار قلة من الأمم أو الملوك ، ويُبقي أخبارهم، فهو سيف على الجميع ماض، أما القرينة الأخرى: فهي لفظية؛ إذ إن السياق قام على تكثيف الحضور للكثرة من خلال اختيار دوال جمعه (الأُمَمِ، وَالمُلُوكِ)، أضف إلى أن ضمير جمع الغائبين (هم) تكرر أربع مرات، ومرجعه يعود على الكثرة من الأمم الماضية والملوك التي ذهبت من قبل.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج١٥٨/٩

(٢) سيبويه: الكتاب ج٥٧٠/٣، وينظر السيوطي: همع الهوامع ج٨٩/٦.

(٣) سيبويه الكتاب، ج٥٧٠/٣.

(٤) الرضي: الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٩٨٢ م، ج ٩٢/٢

(٥) مقامات الهمذاني، ص١١٦٥–١٦٦.

-فِعْل أَفْعَال:

ورد في موضعين، وهما:

أ-قوله:" أَما اعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلاَفِكِ، وَبِمَنْ وَارَتْهُ الأَرْضُ مِنْ أُلاَّفِكِ، وَمَنْ فُجِعْتِ بِهِ مِنْ إِخْوَانِكِ، وَنُقِلَ إِلَى دَارِ البِلَى مِنْ **أَقْرَانِكِ؟؟**"[1]

تعلو في هذا السياق درجتا التوصيل والتأثير في سلوك المتلقي نحو التغيير، وإثارة مشاعره للتفكر في الحياة؛ وهنا يأتي المسلك اللغوي معوانًا؛ لتأكيد هذا ، فبدأ بالاستفهام الإنشائي الذي عدل عن أصله، في قوله:" أَما اعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضَى..." ليشي بالاستنكار التوبيخي؛ لردع النفس عن الركون إلى الدنيا، والاعتبار بمَنْ مَضى، واختار لفظ (أَقْرانِكِ) على وزن (أَفْعَال) ومفرده (قِرْن) وهو "الكُفءُ والنظير في الشجاعة والحرب"[2]، وجمع (فِعْل) للقلة على (أَفْعَال) يطرد، نحو: "حِزْب وأَحْزَاب"[3]، لكنه هنا للدلالة على الكثرة، ودلت القرائن السياقية التي تمثلها الدّوال اللغوية ذات الطاقات الإيحائية المؤيدة الكثرة، نحو قوله: (بِمَنْ مَضَى...، وَبِمَنْ وَارَتْهُ...، وَمَنْ فُجِعْتِ بِهِ...) وتكرار اسم الموصول العام(مَنْ)، وارتباطه بدوال تعبر عن لا محدودية مَنْ جرى عليهم الفناء، وهذه الكثرة تؤكدها القرينة العقلية.

ب-قوله:" كَمْ عَايَنْتَ مِن ذِي عِزَّةٍ وَسُلْطانٍ، وَجُنُودٍ وَأَعْوَانٍ، قَدْ تَمكَّنَ مِنْ دُنْياهُ، وَنالَ مِنْهَا مُنَاهُ فَبَنَى الحُصُونَ، وَالدَّسَاكِر، **وَجَمَعَ الأَعْلاَقَ**، وَالعَساكِرَ "[4].

جاء الجمع (الأَعْلاَقَ) على وزن (أَفْعَال) ومفرده (عِلْق) بمعنى "المال الكريم"[5]، للدلالة على الكثرة، وليس القلة ؛ لدلالة السياق، وتناسب لفظه مع ألفاظ جموع الكثرة التي انتشرت نحو قوله (جُنُودٍ، وحُصُونَ،

(١) الهمذاني مرجع سابق:١٦٣-١٦٤

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج١٣/ ٣٣٧

(٣) السيوطي: همع الهوامع، ج٦/٨٩.

(٤) مقامات الهمذاني، ص١٦٧

(٥) الهمذاني مرجع سابق، ص ١٦٧

وَالدَّسَاكِر، وَالعَساكِرَ)، أضف إلى أن القرينة العقلية تؤكد دلالة البنية على الكثرة؛ فالله سبحانه قال في كتابه الحكيم: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات، الآية ٨)، فحب الإنسان للخير وهو" المال الشديد"[١]؛ فلا يتصور أن الإنسان بهذا في قول الهمذاني: "وَجَمَعَ الأَعْلاَقَ" قد حرص على القليل من المال، وإنما الكثير، وهذا ما تضافرت القرائن اللفظية؛ لتوكيده، وأكدته القرينة العقلية.

-فُعْل أفْعَال:

ورد في موضع واحد هو قوله:" أَحَاطَتْ بِهِ **أَحْزَانُهُ** وَهُمومهُ"[٢]

يأتي لفظ (أَحْزَانُهُ) على وزن (أَفْعَال) ومفرده(حُزْن)؛ وجمع(فُعْل) على (أَفْعَال) للقلة يطرد نحو " صُلْب أَصْلَاب"[٣]؛ إلا أن السياق يؤكد دلالة الصيغة على الكثرة؛ لعطف جمع الكثرة (وَهُمومهُ) على لفظ (أَحْزَانُهُ)، ومجيء الفعل الماضي (أَحَاطَتْ) يوحي بتأكيد تلبس الإنسان المخطئ بالأحزان والهموم وإحاطتها به من كل جانب، وتقديم الجار والمجرور (بِهِ) يدل على اختصاصه بهذا الأمر.

٢-دلالة صيغة أَفْعِلة:

يطرد بناء (أَفْعِلة) لأدنى العدد من الاسم المذكر الرباعي الذي ثالثه حرف مد (ألف أو واو أو ياء) نحو: حِمَار أَحْمِرَة، وعَمُود أَعْمِدَة ورَغِيف أَرْغِفَة[٤]، وقد ورد هذا الجمع في موضعين في قوله:" النَّاسُ **بِأَئِمَّتِهِمْ**، فإِنِ

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٤/٥٨٨

(٢) مقامات الهمذاني، ص١٧١.

(٣) السيوطي: همع الهوامع، ج٦/٨٩.

(٤) ينظر سيبويه: الكتاب ج٣/٦٠١، و المبرد: المقتضب، ج٢/ ٢٠٦، والأصول في النحو، ج٣/٥، والعكبري : اللباب في علل البناء والإعراب، ج٢/١٨٣، و ابن يعيش :شرح المفصل، ج٥/٤٠. والسيوطي: همع الهوامع، ج٦/٩٠

انْقَادُوا **بِأَزِمَّتِهِمْ** نَجَوْا بِذِمَّتِهِمْ"[١] يلاحظ في هذا السياق أنه ورد لفظا (أَئِمَّتِهِمْ، وأَزِمَّتِهِمْ) وهما جمعا قلة مفردهما (إِمَام، وزِمام) للدلالة على الكثرة، وقد أتي المسلك اللغوي مؤكدًا هذا، فالمبدع يرى ضرورة التمسك بالدين للنجاة، وعبر عن هذا بجملتين الأولى: اسمية توحي بالثبات والملازمة ،و هي (النَّاسُ بِأَئِمَّتِهِمْ) ويلحظ أن المبتدأ(النّاس) اسم جمع[٢] فمعناه يدل على الجمع و"لا واحد له من لفظه"[٣]؛ لذا فإنه يدل على الكثرة بقرينة معنى العموم والشمول الذي أفاده، وجاء الخبر (أَئِمَّتِهِمْ) ليفيد الكثرة ؛لأنه معرفة بالإضافة، وبالقرينة اللفظية إذ إنه أضيف إلى ضمير جماعة الغائبين العائد على (الناس)،أما الجملة الأخرى: فهي شرطية في قوله (فإِنِ انْقَادُوا بِأَزِمَّتِهِمْ نَجَوْا بِذِمَّتِهِمْ) تفيد تحقق الجواب وهو النجاة إن وقع شرطه وهو الانقياد بأزمة أئمة الدين، ودل جمع (أَزِمَّتِهِمْ) على الكثرة؛ لأنها معرفة بالإضافة، و بتضافر القرائن اللفظية إذ تكرر ذكر ضمير جماعة الغائبين أربع مرات في (انْقَادُوا، و بِأَزِمَّتِهِمْ، و نَجَوْا، و بِذِمَّتِهِمْ) .

٣-دلالة صيغة أَفْعُل:

يطرد بناء (أَفْعُل) لأدنى العدد من كل اسم ثلاثي صحيح العين على وزن (فَعْل): نحو: كَلْب أَكْلُب، وفي هذا يقول سيبويه:" وقولهم: أَيْدٍ، وإنَّما هي أَفْعُلٌ، وأَفْعُلٌ جماع فَعْلٍ؟"[٤]، وقد ورد هذا الجمع في موضع واحد هو قوله:" كَمْ اخْتَلَسَتْ **أَيْدِي** المَنُونِ، مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ وكَمْ غَيَّرَتْ بِلاهَا، وَغَيَّبَتْ

(١) مقامات الهمذاني، ص١٦٣

(٢)ي لاحظ أنه تكرر اسم الجمع (الناس) في المقامة الوعظية أربع مرات ولفظ(القوم) في موضعين، وفي كل المواضع صدق على الكثير؛ لأنه أفاد الشمول والإحاطة

(٣) الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، ج٣٤٣/٢

(٤) سيبويه: الكتاب، ج٣٥٨/٣، والمبرد: المقتضب، ج٣٦٧/١، وابن السراج: الأصول في النحو، ج٣/ ٣٢٤، وهمع الهوامع، ج٨٧/٦، و ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج١١٦/٤

أَكْثَرَ الرِّجَالِ فِي ثَرَاهَا؟؟؟"[١] يلحظ أنه ورد جمع القلة (أَيْدي) بوزن (أَفْعُل) جمع (يَد) للدلالة على الكثرة؛ لأن الجموع يغني بعضها عن بعض[٢] وقد دلت القرينة اللفظية على الكثرة وهي استخدام (كَمْ) الخبرية، وتردد دوال جمع الكثرة وهي (قُرُونٍ، و الرِّجَالِ)، ولعل اختيار بنية القلة بدلًا من جمع الجمع (أياد) يشي بالتقليل من شأن الأمم التي جرى عليها الموت واحتقارهم، وقد تضافرت الألفاظ والتراكيب في رسم صورة موحشة للموت؛ لإرهاب اللاهين عن آخرتهم مما يوقع الأثر النفسي الذي رامه المبدع، فقوله (اخْتَلَسَتْ) يشي بالخفة والسرعة دون الإحساس بنزول الموت، وهذه الدلالات أفادتها انتشار أصوات الهمس (الخاء والسين والتاء) ، ثم يأتي إضافة لفظ(أَيْدي) إلى لفظ (المَنُونِ) ليوحي بالشراسة؛ فهو يشبه المنية بوحش له أيدٍ تقطف أرواح الخلائق، فهل من مدكر؟

ثانياً: الدلالة وأثرها في أبنية جموع الكثرة في المقامة الوعظية في ضوء علم اللغة النفسي:

كثرت جموع الكثرة في المقامة الوعظية، وتعددت أبنيتها؛ للتعبير عن مرام المبدع والتأثير في سلوك المخاطبين، وإثارة مشاعرهم تُجاه الدنيا والآخرة، وقد وردت هذه الجموع في تسعة وأربعين موضعًا على ثلاثة عشر وزنًا، ويمكن بيان قيمها الدلالية على النحو الآتي:

١-دلالة فُعُول:

يُقاس بناء (فَعُول) للكثرة في الاسم في (فَعْل)، نحو كَعْب كُعُوب، أو في (فُعْل) نحو: جُنْد جُنُود، أو في (فِعْل) نحو حِمْل حُمُول، أو في (فَعِل) نحو (نَمِر نُمُور)...، وفي هذا يقول ابن السراج:" فُعُولٌ :وقد جاء جمعًا لستة أبنية: فَعْلٌ وفَعَلٌ وفَعِلٌ وفِعَلٌ وفِعْلٌ فُعْلٌ، فأما فَعْلٌ فإذا جاوز العشرة فإنه

(١) مقامات الهمذاني، ص١٦٥

(٢) السيوطي: همع الهوامع، ج٦/ ٨٧

قد يجيء على "فُعُول" قال: نَسْرٌ ونُسُورٌ ..." [١]، وقد جمع الهمذاني على وزن(فَعُول) أربعة أبنية قياسية هي (فَعْلٌ، وفِعْلٌ، وفَعِلٌ، وفُعْلٌ) في ثلاثة عشر موضعًا من المقامة الوعظية فبنى من (ظَنّ على ظُنُون) [٢]، و(بَطْن على بُطُون، وظَهْر على ظُهُور)[٣]، و(قَرْن على قُرُون، و مَلِك على مُلُوك) [٤]، و(قَبْر على قُبُور)[٥]، و(رَمْس على رُمُوس، وجُنْد على جُنُود، وحِصْن على حُصُون) [٦]، و(ذَنْب على ذُنُوب) [٧]، و(هَمّ على هُمُوم) [٨]، وفيما يلي بيان دلالة هذا الوزن مع كل بناء :

أ-دلالة فَعُول في فَعْل:

ورد بناء (فَعُول في فَعْل) في أحد عشر موضعًا، ومن أمثلة ذلك:

وقوله:" فُهْم في **بُطُونِ** الأَرْضِ بَعْدَ **ظهورها**"[٩] تشكل فكرة الموت أساس الوعظ في مقامتنا؛ لحث الإنسان على التزود لهذه اللحظة المصيرية، من هنا يأتي الجمع بين صيغتي الجمع المتضادتين (بُطُونِ وظهورها) ليعبر عن دلالتين نفسيتين الأولى: الكثرة بقرينة الصيغة الصرفية والأخرى: بث الرعب في نفوس المتلقين بهول الفناء مما يؤثر في سلوكهم تجاه الحياة، إذ إن المبدع كان يمكنه التعبير بالمفرد فيقول: باطن الأرض بعد ظهرها.

---

(١) ابن السراج الأصول في النحو، ج٤٣٤/٢، وينظر: سيبويه الكتاب، ج٥٦٧/٣، والمبرد: المقتضب، ج١/ ٢٦٩، والسيوطي: همع الهوامع، ج٦/ ١٠٠

(٢) مقامات الهمذاني، ص١٦٢

(٣) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٤

(٤) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٥

(٥) الهمذاني مرجع سابق، ١٦٦

(٦) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٧

(٧) الهمذاني مرجع سابق، ص ١٧٠

(٨) الهمذاني مرجع سابق، ص١٧١

(٩) مقامات الهمذاني، ص١٦٤

وفي قوله:" كَمْ اخْتَلَسَتْ أَيْدي المَنُونِ، مِنْ **قُرُونٍ** بَعْدَ **قُرُونٍ**"[١] نرى الأديب يلح على فكرة الموت من خلال التركيز على الزمن الذي يقع فيه، واختيار الجمع (قُرُونٍ)، وتكراره يشي بتعاقب حدوثه دون انقطاع، وقد دلت البنية على الكثرة بقرينة الصيغة الصرفية، والقرينة اللفظية هي (كم الخبرية).

وفي قوله:

وَحَلوا بِدَارٍ لاَ تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّى لِسُكَّانِ **القُبورِ** التزَاوُرُ

فَمَا إِنْ تَرَى إلاَّ **رُمُوسًا** ثَوَوْا بِها مُسَطَّحَةً تَسْفِي عَلَيْها الأَعَاصِرُ"[٢]

يبرز مكان الموت في اختيار لفظي الجمع (القُبور، ورُمُوساً) ليقرب المبدع للمتلقي صورة مفزعة عن الوحدة فيما بعد الموت؛ ليردع النفس عن غيها؛ لتؤنس وحشتها بعمل الصالحات، وقد دلت البنيتان على الكثرة بقرينة الصيغة الصرفية، وقرينة السياق وذكر جمعي الكثرة (سُكَّان، والأَعَاصِرُ).

ب-دلالة فَعُول في فَعِل:

ورد بناء (فَعُول في فَعِل) في موضع واحد هو قوله:" انْظُرْ إلى الأُمَمِ الخَالِيةِ، **وَالمُلُوكِ** الفَانِيَةِ، كَيْفَ انْتَسَفَتْهُمُ الأَيَّامُ"[٣]

جاء اختيار لفظ (وَالمُلُوكِ) جمع (مَلِك) ليدل على الكثرة بقرينتي الصيغة والسياق، وتناسب لفظي (الأُمَمِ، وَالمُلُوكِ) ولعل اختيار المبدع لهذا اللفظ يقطع كل أمل في ديمومة البقاء لأي إنسان مهما عظم، ومن هنا وجب العمل لهذا اليوم الذي لا فرار منه، وأكد هذه الدلالة النعت (الفَانِيَةِ).

ج-دلالة فَعُول في فُعْل:

ورد بناء (فَعُول في فُعْل) في موضع واحد هو قوله:" كَمْ عَايَنْتَ مِن ذِي عِزَّةٍ وَسُلْطانٍ، **وَجُنُودٍ** ... فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ المَنِيَّةِ إِذْ أَتَتْ"[٤] إن وحدة

(١) الهمذاني مرجع سابق، ص ١٦٥

(٢) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٦-١٦٧

(٣) الهمذاني مرجع سابق، ص ١٦٥

(٤) مقامات الهمذاني، ص ١٦٧

المصير لا فرار منها؛ لذا يأتي استعمال البنية الصرفية؛ لدفع المتلقي نحو التدبر والتأمل، وبالتالي تغيير سلوكه والعمل للآخرة، فاستعمال لفظ (وَجُنُودٍ) جمع يدل على الكثرة بالصيغة والقرينة العقلية والسياق يشي أن العدد والقوة لا تغنى عن النفس شيئًا، ولن تصرف الموت.

د-دلالة فَعُول في فِعْل:

ورد بناء (فَعُول في فِعْل) في موضعين هو قوله:" فَبَنَى **الحُصُونَ** وَالدَّسَاكِر، وَجَمَعَ الأَعْلاَقَ وَالعَساكِرَ.... وَلا دَفَعَتْ عَنْهُ **الحُصونُ** الَّتي بَنَى"[(١)] تكرار لفظ (الحُصُونَ) جمع الكثرة يتناسب مع (الدَّسَاكِر وَالعَساكِرَ)؛ لتستمر حتمية النهاية، وسقوط كل الحصون فما دفعت عن الإنسان، وأجله لا فرار منه، والمبدع يقرأ ما في نفس المتلقي؛ ويسد عليه كل الطرق؛ ليوجهه إلى تغيير منهجه في الحياة ليتقرب إلى الله.

٢-دلالة مَفَاعِل:

يُقاس بناء (مَفَاعِل) إذا كان الاسم رباعيًّا مبدوءًا بميم زائدة، نحو: مَسْجد مَساجد..." [(٢)]، يقول ابن السراج:" مَفْعَلٌ: يكسرُ عَلَى مَفَاعِلَ مَدْعَسٌ ومَدَاعِسُ..." [(٣)] وقد وردت هذه الصيغة في عشرة مواضع ، فبنى من (مَحْسَن على مَحَاسِن، ومِقْدَار على مَقَادِر والأصل مقادير وترخص في البنية)[(٤)]، و(مَجْلِس على مَجَالِس، ومَقْصُورة على مَقاصِرُ) [(٥)]، (و مَكِيدة على مَكَايد، و

(١) الهمذاني مرجع سابق ، ص ١٦٧

(٢) ينظر: الغلاييني: مصطفى: جامع الدروس العربية، راجعه د. عبد المنعم خفاجي المكتبة العصرية، – بيروت، ط٣٠، ١٤١٥هـ –١٩٩٤م، ج٢/٥١

(٣) ابن السراج: الأصول في النحو، ج٣/٢٠، وينظر: الرضي: شرح شافية ابن الحاجب، ج٢/ ١٨٠

(٤) مقامات الهمذاني، ص١٦٤

(٥) الهمذاني مرجع سابق، ١٦٦

مِصيَدة على مَصَايد) [١]، و(مَصِير على مَصَاير) [٢]، و(مَورِد على مَوَارِد، مَصْدَر على مَصَادِر) [٣]، و(مَعْذِرَة على مَعَاذِر) [٤]، ومن أمثلة ذلك:

أ–قوله:"

فُهْم في بُطُونِ الأَرْضِ بَعْدَ ظهورها **مَحاسِنُهُمْ** فِيهَا بَوَالٍ دَوَاثِرُ "[٥]

ينطلق المسلك اللغوي في هذا البيت من الجملة الاسمية التي تكررت مرتين ، وفي قوله (**مَحاسِنُهُمْ** فِيهَا بَوَالٍ دَوَاثِرُ) توحي الجملة بثبات التغير في الحال وملازمته لأصحابه، فالموت يمحو كل حُسن، واختيار لفظ (مَحاسِنُهُمْ) يدل على الكثرة بقرينة الصيغة، وتضافر القرائن اللفظية بورود دوال جمع الكثرة وهي (بُطُونِ، وظهورها، وبَوَالٍ، ودَوَاثِرُ) وهذه الصيغة تكشف عن معنى نفسي سعى إليه الأديب، وهو تقرير هلاك كل حُسن مع الموت؛ وتبدل الحال مما يدفع النفس إلى عدم الركون إلى الدنيا الزائلة، وأكد ذلك الفصل بين المبتدأ والخبر بالجار والمجرور في قوله (فيها) للتركيز على هذا المكان.

ب–قوله:"

فَأَضْحَوْا رَمِيماً في التُّرَابِ وَأَقْفَرَتْ **مَجالِسُ** مِنْهُمْ عُطِّلَتْ **وَمَقَاصِرُ** "[٦]

يأتي هذا البيت؛ ليعبر عن تغير حال الأمم الماضية والملوك التي ذهبت، وأسهمت الجوانب اللغوية صوتيًّا ونحويًّا وصرفيًّا في تأكيد المعنى النفسي الذي رامه المبدع؛ وهو الموت وأثره، فاختار التعبير بالجملة الاسمية المنسوخة (فَأَضْحَوْا رَمِيماً) ليؤكد هذه المآل، وعمَّقَ من هذه الفكرة وأثرها

(١) الهمذاني مرجع سابق، ص ١٦٧

(٢) مقامات الهمذاني، ص ١٦٩

(٣) الهمذاني مرجع سابق، ص١٧٠

(٤) الهمذاني مرجع سابق، ص١٧١

(٥) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٤

(٦) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٠

النفسي في المتلقي قوله (في التُّرَابِ) للتركيز على هذا المكان؛ ليكسر نفوس الجبابرة اللاهين عن أخراهم، وتكشف البنيتان الصرفيتان (مَجالِسُ، وَمَقَاصِرُ) عن كثرة الأماكن التي أضحت خالية من قاطنيها، ويمكن القول إن التعبير بـ (مَجالِسُ، وَمَقَاصِرُ) يضيف إلى الكثرة دلالة التنوع لما في الثانية من معنى ليس في الأولى فـ (مَقَاصِرُ) جمع " مَقْصُورة: الدَّارُ الْوَاسِعَةُ المُحَصَّنَة"(١)، وقد أسهم المكون الصوتي لصيغتي الجمع(جالِسُ، وَمَقَاصِرُ) في إثراء الدلالة النفسية؛ فتردد صوت المد حقق أمرين الأول: منح النص التطريب والتنغيم والترديد، يقول سيبويه: "أمَّا إذا ترنموا فإنهم يُلحِقُون الألفَ والياءَ والواوَ ما يُنَوَّنُ وما لا يُنَوَّنُ؛ لأنهم أرادوا مَدَّ الصوت"(٢)، أما الآخر: فهو قوة إسماعٍ "فصوت اللين أوضح بطبعه من الصوت الساكن"(٣)، فالمبدع بمده للصوت أراد أن يحاكي قوة فكرته بهدف أن يسمعها كل حي؛ فيتأثر بها، وأشاع تردد صوتي (السين والصاد) المهموسين في الصيغتين جوًا من الحزن المكتوم الذي يناسب حال الأماكن بعد فراق أصحابها، مما يجعل المتلقي حذرًا من الدنيا مقبلًا على الآخرة .

ج–قوله:" يا قَوْمُ الحَذَرَ الحَذَرَ، وَالبِدارَ البِدارَ، مِنْ الدُّنْيا وَ**مَكايِدِهَا**، وَمَا نَصَبَتْ لكُمْ من **مَصايِدِها**"(٤)

يوضح السياق دلالة نفسية أراد المبدع أن يقدمها للمتلقي؛ وهي التنفير من الدنيا؛ ليقبل على الآخرة، فاختار لفظي (مَكايدِهَا، ومَصايِدِها) ليعبر عن حال الدنيا مع أهلها فهي كثيرة الخداع، ومصايدها لا تنتهي، وقد دلت البنيتان على الكثرة بقرينتي الصيغة، والسياق في ندائه باسم الجمع (يا قوم)، ويلحظ

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠٠/٥

(٢) سيبويه: الكتاب ج٢٠٤/٤

(٣) أنيس: د: إبراهيم، الأصوات اللغوية، طبعة مكتبة نهضة مصر، د.ت، ص٢٨

(٤) مقامات الهمذاني، ص ١٦٧

أن التراكيب النحوية أسهمت في رسم صورة مفزعة للدنيا، فجمع بين أسلوبين متقابلين التحذير في قوله (الحَذَرَ الحَذَرَ) والإغراء في قوله (وَالبِدارَ البِدارَ).

٣-دلالة فَعَائِل:

يطرد بناء (فَعَائِل) من الاسم الرباعي، وكان فيه هاء التأنيث، وعلى بناء (فَعِيلَةً)، نحو: صَحِيْفَة صَحَائِف، وفي هذا يقول سيبويه:" وأمَّا ما كان عدد حروفه أربعة أحرف وفيه هاء التأنيث وكان (فَعِيلَةً)، فإنَّك تكسره على (فَعَائِلَ)، وذلك نحو: صَحيفةٍ وصَحائفَ..." [١] وقد ورد هذا الجمع في ستة مواضع، فجمع من (مَنيَّة على مَنَايَا، وحَفِيْرَة على حَفَائِر)[٢]، و(ذَخِيْرَة على ذَخَائِر) [٣]، و(سَرِيْرَة على سَرَائِر) [٤]، و(كَبِيْرَة على كَبَائِر، وخَطِيئة على خطايا) [٥]، ومن أمثلة ذلك:

أ-وقوله:"

خَلَتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ وَسَاقَتْهُمُ نَحْوَ **المَنَايَا** المَقَادِرُ "[٦]

جاء التعبير بلفظ الجمع (المَنايَا) على وزن (فَعَائِل) ومفرده (مَنِّية) ومعناه الموت بدلًا من التعبير بالمفرد؛ لأن العدول إلى الجمع كان لدلالتين الأولى: الكثرة بقرينتي الصياغة والسياق لاتساق دوال الجمع في البيت ،وهي (دُورُهُمْ، وعِرَاصُهُمْ، والمَنايَا والمَقادِرُ) وتكرار ضمير جماعة الغائبين أربع مرات، أما الدلالة الأخرى فهي نفسية سعى إليها المبدع وهي بث الخوف والفزع في نفوس الراكنين إلى الدنيا؛ فيغيروا من سلوكهم، وقد أسهمت الجمل

(١) سيبويه: الكتاب، ج٣/٦١٠، وابن السراج: الأصول في النحو، ج١٨/٣، والسيوطي: همع الهوامع، ج٦/ ١٠٩-١١٠

(٢) مقامات الهمذاني، ص١٦٤

(٣) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٧

(٤) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٩

(٥) الهمذاني مرجع سابق، ص١٧٠

(٦) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٣

الفعلية الماضية المتتالية، وهي (خَلَتْ...، وَأَقْوَتْ، وَسَاقَتْهُمُ...) في نسج لوحة موحشة، تشي بقسوة الموت.

ب–قوله:" وَخَلُّوْا... وَضَمَّتْهُمُ تَحْتَ التُّرابِ **الحَفائِرُ**"(١)

نلاحظ في هذا البيت انتهاء القافية بجمع (الحَفائِرُ) ليشي بهذه النهاية التي مردنا إليها جميعًا، وهذا الجمع في كثرته يتناسب مع كثرة الموتى، ويظهر الفعل الماضي في المسلك اللغوي في قوله:" (وَخَلُّوْا، وجَمَعُوا، وضَمَّتْهُم) لينقلنا من البداية حيث الدنيا إلى النهاية حيث القبر، لتتضح دلالة نفسية رامها المبدع، وهي حالة الذهول عن الدنيا ولذاتها، والترك لكل ما شُغل بجمعه، فلم تُجدِ مع المنية ما ادخره مع كثرته؛ لذا قال بعد هذا:" تَهْوِى إِلَيْهِ **الذَّخائِرُ**"(٢)

ج–قوله:" وَكَيْفَ يَلَذُّ العَيْشَ ... حَيْثُ تُبْلى **السَرَائِرُ**"(٣)

اشتمل البيت على جملة استفهامية في قوله: (وَكَيْفَ يَلَذُّ العَيْشَ...) وقد خرجت عن دلالتها الأصلية؛ لتشي بالتعجب والاستنكار مِنْ كل مَنْ يستلذ العيش، وهو يعلم أنه سيُعرض على الله وتظهر المكنونات، وقد أدى الفعل المضارع (يَلَذُّ) دوره في الكشف عن ديمومة الحالة الخاطئة المستنكرة بتلذذ العيش وتجددها؛ ثم يأتي الفعل المضارع المبني لما لم يسم فاعله في قوله (تُبْلى) ليشي بكشف الله (السَرَائِر) واختيار جمع الكثرة يوحي بظهور كل شيء مكنون مهما كثر.

د–قوله:" تَنَدَّمَ... وَأَبْكتهُ الذُّنُوبُ الكَبَائِرُ بَكَى عَلى مَا سَلَفَ مِنْ **خَطَايَاهُ**"(٤)

يكشف السياق عن تجربة مجرِّب علم عواقب الأمور، فوظف الجمل الفعلية الماضية، وهي (تَنَدَّمَ...، وَأَبْكتهُ، وبَكَى) للتعبير عن سلوك نفسي يلازم

(١) مقامات الهمذاني، ص١٦٤.

(٢) الهمذاني مرجع سابق، ص ١٦٧

(٣) الهمذاني مرجع سابق، ص ١٦٩

(٤) الهمذاني مرجع سابق، ص١٧١

الإنسان حال نزول الموت؛ وهو الندم والبكاء على ما ارتكب من ذنوب كبائر وخطايا، وبرز لفظ (لو) ليوحي بامتناع جدوى الندم لفوات وقته، ثم تأتي البنى الصرفية؛ لتبين العلة وراء ذلك، فجمع السياق بين لفظي (الذُّنُوبُ والكَبَائِرُ) من خلال التركيب النعتي؛ ليشي بكثرة الذنوب، وعظمها، وزاد من توكيد ذلك قوله (خَطَايَاهُ) بإضافتها مع كثرتها إلى هذا الإنسان؛ لتوحي بتحمله نتيجة أفعاله ، لذا وجب أخذ العِبَر.

٤-دلالة فَعَالِل:

يطرد بناء (فَعَالِل) في كل اسم رباعي الأصول مجردًا كان أو مزيدًا، نحو: دِرْهَم دَرَاهِم، وغَضَنْفَر غَضَافِر، وحمل الاسم الخماسي المجرد عليه؛ لأنه لا يوجد له مثال للتكسير عليه نحو: سَفَرْجَل سَفَارِج[١] وقد ورد هذا الجمع في خمسة مواضع فبنى من (دَسْكَرة على دَسَاكر، وعَسْكَر على عَسَاكِر) [٢]، و(حَنْجَرة على حَنَاجِر) [٣] ومن أمثلة ذلك:

أ-قوله:"

وَلا دَفَعَتْ عَنْهُ الحُصونُ الَّتي بَنَى وَحَفَّتْ بِها أَنْهارُها **والدَّساكِرُ**

وَلا قَارَعَتْ عَنْهُ المَنِيَّةَ حِيلَةٌ وَلا طَمِعَتْ في الذَّبِّ عَنْهُ **العَساكِرُ**"[٤]

وظّف المبدع جمع الكثرة في قوله (الدَّساكِرُ، والعَساكِرُ) والدَّساكِرُ جمع "الدَّسْكَرَةُ: بِنَاءٌ كالقَصْرِ"[٥]، والعَسَاكر مفرده " العَسْكر الكثيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ"[٦]، وإذا كانت البنيتان تدلان على الكثرة المستمدة من صيغهما الصرفية والسياق،

(١) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ج٣٨/٥، الغلاييني: مصطفى: جامع الدروس العربية، ص٤٧ –٤٨

(٢) مقامات الهمذاني، ص ١٦٧

(٣) الهمذاني مرجع سابق: ص١٧١

(٤) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٧

(٥) ابن منظور: لسان العرب، ج ٢٨٥/٤

(٦) مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص١٦٧

إلا أن الحكيم الذي خبر الدنيا لم يأت بهما على عواهنهما، وإنما قصد ترسيخ رسالة؛ ليوقظ الإنسان الغافل عن عاقبته، فهما في سياق تنسجمان فيه مع حالة الوحدة التي يعيشها الإنسان في مواجهة الموت، فلم تحمه قصوره، ولا دافعت عنه العسكر مع كثرتها وقوتها. وقد تضافرت الدلالات الرمزية للألفاظ والتراكيب في رسم حالة الضعف والوحدة، فتكررت الجملة الفعلية الماضية المنفية ثلاث مرات في قوله (وَلا دَفَعَتْ عَنْهُ، وَلا قَارَعَتْ عَنْهُ، وَلا طَمِعَتْ في الذَّبِّ عَنْهُ) وهذا يشي بقطع كل سبيل للنجاة، وزاد من توكيد هذا تكرار الفصل بالجار والمجرور (عنه) بين الفعل والفاعل؛ لإفادة التخصيص.

ب–قوله:" وَقَدْ خَسِئَتْ... تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللُّهَى **وَالحَنَاجِرُ**"[1]

نلحظ في هذا البيت الرهبة التي أراد الأديب أن يبثها في نفوس المخاطبين، فهو في هذا السياق يصور لنا لحظات الحشرجة حين نزول المنية على الإنسان لردعه، وقد أدت الجملة الفعلية الماضية المؤكدة ب(قد) دورها في تقريب هذا المشهد، وكأننا نراه، أما الفعل المضارع فيشي بتجدد واستمرارية الألم حال خروج الروح، ويأتي جمع الكثرة (وَالحَنَاجِرُ) ليشي بشمولية المعاناة لكل الناس.

٥-دلالة فِعَال:

يطرد بناء(فِعَال) للكثرة في (فَعْلَة) إذا كان اسمًا، نحو: قَصْعَة قِصَاع، وفي هذا يقول سيبويه:" وأما ما كان على (فَعْلَة)... فإذا جاوزتَ أدنى العدد كسَّرت الاسم على (فِعَال) وذلك: قَصْعَةٌ وقِصَاعٌ، ..."[2]، وسُمِع بناء (فِعَال) في " فِعْلان " من الأسماء... نحو: رَجُل رِجْلان، وامرأة رَجْلَى وجمعها

(١) الهمذاني مرجع سابق، ص١٧١.

(٢) سيبويه: الكتاب، ج٣/ ٥٧٨. وينظر ابن السراج: الأصول في النحو، ج٢/٤٣٩، والسيوطي: همع الهوامع، ج٦/ ٩٨

رِجَال"[١] وقد ورد بناء (فَعْلَة) على (فِعَال) قياسًا في موضعين، وسماعًا في موضع واحد على النحو الآتي:

أ-قوله:" أَلا وَإِنَّ الَّذِي بَدَأَ الخَلْقَ عَلِيماً، يُحْيِي **العَظَامَ** رَمِيمًا"[٢] يتجلى في هذا السياق أثر التناص مع أسمى نصّ وهو القرآن الكريم في قوله سبحان: ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس، الآيتان ٧٨، ٧٩) ، مما أثرى النصّ، وزاد التجربة عمقًا، وجاء اختيار المبدع للفظ (العَظامَ) بوزن (فِعَال) جمع (عَظْمة) ليرسخ في نفوس المتلقين، حتمية الموت، ويؤكد قدرة الخالق عز وجل على إحياء العظام، للحساب، وهذا من شأنه أن يجعل الإنسان لا يلهو عن مراقبته سبحانه، وحساب نفسه، وقد دلت البنية على الكثرة بقرينة الصيغة والقرينة العقلية .

ب-قوله: "وَأَقْوَتْ **عِرَاصُهُمْ**"[٣]

يأتي اختيار دال (عِرَاصُهُمْ) بوزن (فِعَال) جمع(عَرْصَة) " وهي" كُلُّ بُقْعةٍ بَيْنَ الدُّورِ واسعةٍ لَيْسَ فِيهَا بِنَاءٌ"[٤]؛ ليؤكد المبدع فكرته، وهي جريان الموت على كل الخلائق، وخلو الدور من أهلها بعد عمارتها، ووجوب الاستعداد له، ودلت البنية على الكثرة بتضافر ثلاث قرائن؛ الأولى الصيغة، والثانية السياق وتردد دوال جمع الكثرة (دُورُهُمْ، والمَنايَا، والمَقادِرُ)، وذكر ضمير جماعة الغائبين أربع مرات ومرجعه (مَنْ مضَى ...، وَمَن وَارَتْهُ الْأَرْضُ...) وهم كُثُر، والقرينة الأخيرة العقلية، وهي كثرة الموتى.

---

(١) الحديثي: د. خديجة: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة النهضة بغداد، ط١، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، ص٣٢١

(٢) مقامات الهمذاني، ص١٦١

(٣) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٤

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ج٥٢/٧

ج–قوله:" كَمْ اخْتَلَسَتْ أَيْدي المَنُونِ، مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ؟ وكَمْ غَيَّرَتْ بِلاهَا، وَغَيَّبَتْ أَكْثَرَ **الرِّجَالِ** في ثَرَاها؟؟؟"[١]

تستجيب البنية الصرفية لمقصدية المبدع وتأثيرها النفسي والسلوكي في مقامته الوعظية، ويأتي اختيار الجمع (رِجَال) على وزن (فِعَال) جمع (رَجْلان) سماعًا، وفي هذا يقول سيبويه:" وقال بعضهم: رَجْلانُ، وامرأة رَجْلَى، وقالوا: رِجَالٌ"[٢]، لتشي بدلالتين نفسيتين الأولى الكثرة بقرينتي الصياغة والسياق، والأخرى :كسر الأمل في نفوس المتعلقين بالدنيا ومتاعها الزائل؛ لأن الموت غيب حتى الرجال الأقوياء، ولم يكونوا في منعة منه .

٦-دلالة بناء فُعَل:

يطرد بناء (فُعَل) للكثرة في (فُعْلَة) إذا كان صحيح اللام أو معتلة أو مضاعفها نحو: غُرْفَة غُرَف، وعُرْوة عُرَى، وفي هذا يقول سيبويه:" وأمَّا ما كان (فُعْلَة)...فإذا جاوزت أدنى العدد كسرته على (فُعَل) وذلك قولك: رُكَبٌ..." [٣]، وقد ورد هذا البناء في موضعين، فجمع من (أُمَّة على الأُمَمِ)[٤]، و(مُنْية على مُنَى)[٥]، على النحو الآتي:

أ–قوله:" انْظُرْ إلى **الأُمَمِ** الخَالِيةِ، وَالمُلُوكِ الفَانِيَةِ، كَيْفَ انْتَسَفَتْهُمُ الأَيَّامُ"[٦] فدال (الأُمَمِ) جمع كثرة على وزن (فُعَل) مفرده (أُمَّة)، وقد دلت البنية على الكثرة بثلاث قرائن الأولى الصيغة الصرفية، والثانية عقلية فالواقع يؤكد كثرة الأمم الماضية، والقرينة الأخيرة لفظية وهي تناسب لفظي (الأُمَمِ وَالمُلُوكِ) ورام

(١) مقامات الهمذاني، ص١٦٥

(٢) سيبويه: الكتاب، ج٣/٦٤٦

(٣) سيبويه: الكتاب، ج٣/٥٧٩، وينظر ابن السراج: الأصول في النحو، ج٣/٥٢، والسيوطي: همع الهوامع، ج٦/٩٦

(٤) مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص١٦٥

(٥) الهمذاني مرجع سابق، ص ١٦٧

(٦) الهمذاني مرجع سابق، ص١٦٥

المبدع من استخدام البنية الصرفية دفع الإنسان إلى التأمل وتدبر أحوال الأمم السابقة، وأخذ العبرة، مما يجعله يزهد في الدنيا، ويستعد للباقية بدلًا من الفانية.

ب–قوله:" كَمْ عَايَنْتَ مِن ذِي عِزَّةٍ وَسُلْطانٍ، وَجُنُودٍ وَأَعْوَانٍ، قَدْ تَمكَّنَ مِنْ دُنْياهُ، وَنالَ مِنْهَا **مُنَاهُ**.... فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ المَنِيَّةِ"(١)

ولأن فكرة الموت هي محور المقامة الوعظية؛ وظف المبدع اللغة بمستوياتها المتعددة في تكاملها؛ لإيصال هذه الفكرة، فجاء لفظ (مُنَاهُ) ليدل على الكثرة المطلقة للمُنى بقرينتي الصيغة والسياق، ومجيئها في سياق الجملة الفعلية الماضية يؤكد تحققها، ومجي الفصل بقوله (مِنْهَا) بين الفعل والمفعول يشي بالإرادة الكاملة في أفعال الإنسان واختياراته منها، ورغم هذا فإن الموت قادم، ونفى صرفه بقوله (فَمَا صَرَفَتْ).

٧-دلالة فَوَاعِل:

يطرد بناء (فَوَاعِل) إذا كان صفة لغير عاقل على وزن (فَاعِل)أو (فاعَل)، نحو: بَوَالٍ جمع بَالٍ، وفي هذا يقول سيبويه:" وما كان من الأسماء على (فاعِلٍ) أو (فَاعَلٍ) فإنه يكسر على بناء (فَوَاعَل)، وذلك: تابَلٌ وتوابِلُ، وطَابَقٌ وطَوابِقُ"(٢)، وقد ورد هذا الجمع في موضعين، في قوله":

فُهْم في بُطُونِ الأَرْضِ بَعْدَ ظهورها مَحاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالٍ دَوَاثِرُ"(٣)

جاء التعبير بلفظ (بَوَالٍ) على وزن (فَوَاعِل) جمع (بَالٍ) ومعناه الخلق الرث، ومثله دَال (دَوَاثِرُ) على وزن (فَوَاعِل) جمع (دَاثِر) ومعناه الهالك، وكلا اللفظين يدل على الكثرة بقرينتي الصيغة والسياق، وهي الإخبار عن (مَحاسِنُهُمْ)لتشي بحتمية التبدل والتغير بفعل الموت وذهاب المحاسن، وأكدت

(١) مقامات الهمذاني، ص١٦٧.

(٢) سيبويه: الكتاب، ج٣/ ٦١٤، والسيوطي: همع الهوامع، ج٦/ ١٠٦

(٣) مقامات الهمذاني، ص١٦٤

الجملة الاسمية ثبات هذه التغير وملازمته لأهل القبور، وعمق من هذا الصورة قوله(فيها) للتركيز على هذا الموضع.

٨-دلالة أفَاعِيل:

يطرد بناء (أفَاعِيل) للكثرة في (إفْعَالٍ)إذا كان اسمًا، وفي هذا يقول سيبويه:" وأمَّا ما كان (أَفْعَالًا) فإنه يكسر على أفاعِيلَ؛ لأنَّ أَفْعَالًا بمنزلة إفْعَالٍ، وذلك نحو: أنْعامٍ وأناعِيم"(١)، وقد ورد هذا الجمع في موضع واحد هو قوله:"

فَمَا إنْ تَرَى إلاَّ رُمُوساً ثَوَوْا بِها مُسَطَّحَةً تَسْفِي عَلَيْها **الأَعَاصِرُ**"(٢)

إن الأديب أعرض عن دال (أعاصير) (أفاعيل) وجاء بوزن (أفاعل) لخدمة أمرين الأول الدلالة والمتمثلة في أن وزن (أفاعيل) فيه ياء المد، وياء المد من شأنها إطالة النطق، مما يشي بمط دلالة اللفظ وإطالتها، ولما كان المبدع يريد أن يعبر عن سرعة التغير التي تصيب الرموس، وسرعة نسيان أصحابها، وسرعة من يلتحقون بالموت لحظة بعد لحظة، وسرعة مرور الأيام ، وسرعة فناء الدنيا، وسرعة انتهاء المجاس وفناء المقاصر التي تهواها تلك النفوس...إلخ، وقع اختياره – في مستوى الاختيار – على الوزن الذي يشي بالسرعة ، وليس الدال على البطء؛ فالسياق سياق سرعة .

وفي محور التوزيع، أخر الأعاصر وقدم الجار والمجرور (عليها) ليس للاختصاص كما هو المعهود؛ إذ الأعاصر تصيب الرموس وغيرها، وإنما لإظهار شدة فعل الأعاصر وسرعة تأثيرها في الرموس، أما الأمر الآخر: فهو الشعر؛ لأن له لغته الخاصة التي تحكمه؛ لذا فإن الأديب ترخص في البنية الصرفية للمحافظة على تلاؤم النسيج الشعري، فاختار جمع (الأَعَاصِرُ) بدلًا من (الأَعَاصِيرُ) على وزن (أفَاعِيل) للمحافظة على إيقاع بحر الطويل

(١) سيبويه: الكتاب، ج٦١٨/٣، وابن يعيش: شرح المفصل، ج٧٤/٥

(٢) مقامات الهمذاني، ص١٦٧

الذي التزمه في مقطعته الشعرية، ومجيء الضرب مقبوضًا[١]، فالقافية قبل هذا البيت هي (مَقَاصِرُ، وصَابِرُ، تزَاوُرُ).

٩-دلالة فُعَلَاء:

يطرد بناء (فُعَلَاء) من الصفة إذا كانت على وزن(فَعِيل) أو (فاعِل) وأريد بها المدح أو الذم، نحو كَريم كُرَماء، وشَاعِر شُعَراء، وفي هذا يقول سيبويه:" وقد يكسّر على (فُعَلَاء)، شُبّه بفَعيلٍ من(الصفات)، كما شُبَّه في فُعُلٍ بفَعُول، وذلك: ... وعالمٌ وعلماء"[٢] وورد بناء (فُعَلَاء) في (فاعل) في موضع واحد ،وهو قوله :" وَإِنَّكُمْ أَشْقَى مَنْ أَظَلَّتْهُ السَّماءُ، إِنْ شَقِيَ بِكُمُ **العُلماءُ**"[٣]

يقدم الهمذاني حكمة في بنية شرطية تدل على لزوم تحقق الجواب إذا تحقق الشرط، ومفادها أنهم أشقى من أظلتهم الأرض إن لم يهتدوا بهدي العلماء، وقد حذف جواب الشرط؛ لدلالة السياق عليه، وقد اختار لفظ (العُلماء) على وزن (فُعَلَاء) جمع (عَالِم) لدلالتين الأولى: الكثرة بقرينتي الصيغة والسياق و هي ورد ضمير جماعة المخاطبين (كم)، والأخرى: مدح أهل العلم لشرفهم، وهو في هذا وكأنه ينظر إلى قوله سبحانه: ﴿ يَرْفَعِ اللَّه الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة، من الآية ١١)، وتضافرت التراكيب النحوية والبنى الصرفية والأصوات؛ لتكشف عن رفعة مكانة العلماء، فبدأ بالجملة الاسمية المنسوخة المؤكدة بإن في قوله (وَإِنَّكُمْ أَشْقَى...) ليشير إلى مصير مظلم لمن لم يهتد بالعلماء، وزاد من تأكيد هذه الدلالة اختيار اسم التفضيل (أَشْقَى) ومرادفه (شَقِيَ)، ولعل تردد صوت الشين المهموس في اللفظين يشي بانتشار الشقاء وهيمنته عليهم؛ لغبن العلماء.

---

(١) القبض: هو حذف الخامس الساكن من التفعيلة، وبه تصير فعولن إلى فعول

(٢) سيبويه: الكتاب، ج٦٣٢/٣، وينظر: ابن السراج: الأصول في النحو، ج١٦/٣، والسيوطي: همع الهوامع، ج٦/ ١٠٤-١٠٥

(٣) مقامات الهمذاني، ص١٦٣

١٠-دلالة فِعْلَان:

يكثر بناء (أَفْعَال) للقلة في (فعَل)، نحو: أَخٌ وآخاءٌ" والأَعرَف فِي الإِخْوان والأُخُوان أَنَّهُمَا جَمْعُ الأَخِ"(١)، وقد ورد هذا الجمع في موضع واحد هو قوله:" أَما اعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلاَفِكِ، وَبِمَنْ وَارَتْهُ الأَرْضُ مِنْ أُلاَّفِكِ، وَمَنْ فُجِعْتِ بِهِ مِنْ **إِخْوَانِكِ**"(٢).

يعكس استخدام لفظ (إِخْوَانِكِ) معنى كثرة الإخوان في الصداقة، وهذا يتسق مع السياق، مما يجعل النفس تعتبر بها حين تفجع بها، وكثرت القرائن اللفظية التي تؤكد هذه الدلالة، وهي تكرار اسم الموصول العام (مَنْ) ومرجعه لا محدود، ولعل هذه البنية تشي بالقرب النفسي بين الإنسان وإخوانه؛ فيكون الأثر أوقع في النفس، والحذر من هذه النهاية.

١١-دلالة فُعَّال:

يطرد بناء (فُعَّال) للكثرة من "الصفة للمذكر مما كان صحيح اللام: نحو شاهد -شُهَّاد"(٣)، وفي هذا يقول سيبويه:" ما كان (فَاعِلًا) ... ويكسرونه ...على (فُعَّالٍ) وذلك قولك: شهادٌ"(٤)، وقد ورد هذا الجمع في موضع واحد هو قوله:"

وَحَلوا بِدَارٍ لاَ تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّى **لِسُكَّانِ** القُبورِ التزَاوُرُ "(٥)

يؤدى المسلك اللغوي في هذا البيت دوره في التأثير النفسي على المتلقي، من خلال رسم صورة موحشة لما بعد الموت؛ لأن القبور مكان عزلة، ولا تلتقي فيها الأجساد، وهذا يسبب الانقباض الوحشة، فاختار الدوال المعبرة

(١) ينظر: ابن سيده: المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ج١/٣٣١

(٢) مقامات الهمذاني، ص-١٦٣-١٦٤

(٣) الحديثي: د. خديجة: الأبنية الصرفية في كتاب سيبويه، ص٣٠٤

(٤) سيبويه: الكتاب، ج٣/٦٣١، وينظر ابن يعيش: شرح المفصل، ج٥/٥٤، وابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج٤/ ١٢٣

(٥) مقامات الهمذاني، ص١٦٦

عن هذا بقوله (وَحَلوا بِدَارٍ) للدلالة على حتمية هذا المصير ،وتأكيد وقوعه باستخدام الماضي، ثم مجيء قوله (لاَ تَزَاوَرَ بَيْنَهُمْ) للنفي القاطع بحدوث التزاور، والاستفهام في قوله (وَأَنَّى... التزَاوُرُ) يوحي بانزياحه عن أصله بالنفي المؤكد للعزلة، واختيار جمع (سُكَّانِ) على وزن (فُعَّال) ومفرده (سَاكن) يشي بدلالتين نفسيتين الأولى: الكثرة بقرينتي الصيغة والسياق والأخرى: تأكيد الاستيحاش والغربة فمع كثرة سكَّان القبور لكن الوحدة هي القائمة .

١٢-دلالة بناء فُعْل:

يُقاس بناء (فُعْل) للكثرة في (فَعَل) المعتل العين، وفي هذا يقول سيبويه:" فإذا أردت بناء أكثر العدد قلت في الدار: دُورٌ..." [(١)]، وقد بنى الهمذاني على هذا الوزن في موضع واحد هو قوله:

خَلَتْ **دُورُهُمْ** مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ وَسَاقَتْهُمُ نَحْوَ المَنايَا المَقادِرُ [(٢)]

فـ(دُورُ) جمع كثرة بوزن (فُعْل) ومفرده (دار) ودلت البنية على الكثرة بقرينة الصيغة الصرفية، والقرائن اللفظية التي تضمنها السياق، نحو أبنية الكثرة، وهي (عِرَاصُهُمْ، و المَنايَا، و المَقادِرُ)، وتكرار ضمير جمع الغائبين (هم) أربع مرات، والقرينة العقلية تؤكد هذا، وقد أسهمت البنية الصرفية في التعبير عن فكرة الفناء وجريان الموت على كل الخلائق، ومن ثمَّ التأثير في النفوس، فتستعد لهذا اليوم، واختيار التعبير بجمع الكثرة يوحي بشمول الموت، وتضافر النظام التركيبي للجملة، وترتيب الكلمات؛ لتأكيد هذه الدلالة، فعبر بالفعل الماضي (خَلَتْ)، وقدم الفاعل (دُورُهُمْ) على الجار والمجرور (مِنْهُمْ) ؛ليفيد التركيز على الأماكن التي كانت تشغل الإنسانَ عمارتُها؛ ليؤكد خرابها بفناء أصحابها.

(١) سيبويه: الكتاب، ج٣/٥٩١

(٢) مقامات الهمذاني، ص١٦٤

١٣-دلالة فِعَل:

يُقاس بناء (فِعَل) للكثرة في (فِعْلَة) نحو: قِرْبَة قِرَب، وفي هذا يقول سيبويه:" وما كان فِعْلَةً... فإذا أردت بناء الأكثر قلت: سِدَر..." [١] وأورد الهمذاني هذا الجمع في موضع واحد هو قوله: "أَلا لاَ عُذْرَ فَقَدْ بُيِّنَتْ لَكُمُ المَحَجَّةُ، وَأَخِذَتْ عَلَيْكُمُ الحُجَّةُ، مِنَ السَّماءِ بِالخَبَرِ، وَمِنَ الأَرْضِ **بِالعِبَرِ**"[٢] فـ(العِبَرِ)على وزن (فِعَل) جمع (عِبْرَة) وهي " الاسم من الاعتبار"[٣] ودلت بنية الجمع على الكثرة بقرينة الصيغة وبقرينة عقلية إذ إن السياق يدل على كثرة ما يعتبر به الإنسان في الأرض إذا ما تدبر وسار فيها ، وهذا ما أكده قوله سبحانه : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ (الذاريات، من الآية ٤.) ، ولعل اختيار التعبير بلفظ جمع القلة (آيَاتٌ) موضع جمع الكثرة لحث المعتبر على النظر، وجاءت الجملة الاسمية المنسوخة بلا النافية للجنس في قوله (أَلا لاَ عُذْرَ)؛ وحذف خبرها؛ لتؤكد بالنفي المطلق عدم قبول عذر من يعتذر لكثرة ما بان و اتضح من أدلة وعِبَر، ومن هنا كان تركيز المبدع على اسم (لا النافية للجنس) وحذف خبرها .

وتوصي الدراسة بالإفادة التطبيقية من الدرس اللغوي الحديث، و معطيات العلوم الأخرى في قراءة النصوص.

---

(١) سيبويه: الكتاب، ج٣/٥٨٠-٥٨١، وينظر الأصول في النحو، ج٢/٤٤١، السيوطي: وهمع الهوامع ج٦/٩٦-٩٧

(٢) مقامات الهمذاني، ص١٦٠-١٦١

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ج٤/٥٣١

الخاتمة

بعد دراسة الدلالة وأثرها في بناء الجموع في المقامة الوعظية للهمذاني مقاربة في ضوء علم اللغة النفسي، يتضح لي ما يأتي:

١-أن لغة المقامة مختارة، وتعبر بصدق عما يدور في عقل الهمذاني من أفكار وأحاسيس وانفعالات.

٢-أن الدلالة أثرت في لغة المقامة؛ فجاءت متسقة مع ما رامه الهمذاني، وأداة طيعة للتأثير في نفس المتلقي وسلوكه، وقد بَانَ هذا في استعمال الجموع للتعبير عن فكرة الحياة والموت، وبث الوحشة في نفوس الذاهلين عن الآخرة، ودفعهم نحو العِبْرة.

٣-أن الدراسة أكدت تطبيقيًّا ظاهرة الاستغناء في الأبنية، فدلت أبنية القلة على الكثرة كما ذهب النحاة؛ وكان للقرائن واللغة بمستوياتها النحوية والصرفية والصوتية دورها في توجيه الدلالات النفسية للألفاظ.

٤-أن الجموع في المقامة الوعظية تمثل ظاهرة صرفية تسترعي الانتباه، وقد بلغ عددها أربعة وسبعين لفظًا، إذا ما أضفنا اسم الجمع الذي ورد في ستة مواضع، واسم الجنس الجمعي الذي ورد في موضعين، وكان أكثرها ورودًا هو جموع الكثرة وذلك في تسعة وأربعين موضعًا ضمن ثلاثة عشر وزنًا هي (فَعُول، و مَفَاعِل، و فَعَالِل، و فَعَائِل، و فِعَال، و فُعَل، و فَوَاعِل، و أَفَاعِيل، و فُعَلَاء، و فِعْلَان، و فُعَّال، و فُعْل، و فِعَل)، ويليها جموع القلة في اثني عشر موضعًا ضمن ثلاثة أوزان، هي (أَفْعَال، و أَفْعِلة، و أَفْعُل)، ثم يليها جموع التصحيح في سبعة مواضع.

٥-أن الهمذاني آثر جموعًا بعينها؛ لإضفاء دلالات نفسية رامها المبدع، ومن ذلك ورود جمع (فَعُول) في أربعة عشر موضعًا، وعدم استعماله لجموع بعينها نحو: جمع (فِعْلَة)، وأن كل الجموع التي وردت في المقامة الوعظية كانت مطردة، ولم يلجأ إلى السماع أو غير المقيس إلا في موضعين.

وتوصي الدراسة بالإفادة من الدرس اللغوي الحديث ومعطيات العلوم الأخرى في قراءة النصوص.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم –

– أنيس: د: إبراهيم، الأصوات اللغوية، طبعة مكتبة نهضة مصر، د.ت.

– الأزهري: خالد: شرح التصريح على التوضيح، وبهامشه حاشيته للشيخ يس بن زين الدين العليمي الحمصي رحمه الله دار الفكر للطباعة والنشر، د. ت.

– أولمان: ستيفن: دور الكلمة في اللغة، ترجمه وقدم له وعلق عليه د. كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، د. ت.

– ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، د. ت.

– ابن جني: اللمع في العربية، تحقيق د. سميح أبو مغلي، دار مجدولاي، عمان، ١٩٨٨م.

– الحديثي: د. خديجة: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة النهضة بغداد، ط١، ١٩٦٥م

– الرضي: الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٩٨٢م.

– ابن الرومي: ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م.

– الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، بالقاهرة، د. ت

– السامرائي: فاضل صالح: معاني الأبنية العربية، دار عمار الأردن، ط ٢، ٢٠٠٧م.

– ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٣، ،١٩٩٦م.

– السعران، د. محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية، بيروت.
– سيبويه: الكتاب تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د. ت.
– ابن سيده: المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
– السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع تحقيق وشرح عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٨٠م.
– الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠١م
– الطناحي: د. محمود: جموع التكسير والعرف اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الحادي والسبعون ، ١٩٩٢م.
– عبدالعال: عبدالمنعم سيد: جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية ، مكتبة الخانجي، بالقاهرة ، د. ت.–
– العصيلي: د. عبدالعزيز بن إبراهيم، علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٦م.
– عطية: د. نوال محمد: علم النفس اللغوي، المكتبة الأكاديمية، بالقاهرة، ط٣، ١٩٩٥م.
– ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، ط٢٠، ١٩٨٠ م.
– العكبري: أبو البقاء: اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: د. غازي مختار طليمات، دار الفكر – دمشق، ط١، ١٩٩٥م.
– الغلاييني: مصطفى: جامع الدروس العربية، راجعه د. عبد المنعم خفاجي المكتبة العصرية، – بيروت، ط٣٠، ١٩٩٤م.

– لجنة من أدباء الأقطار العربية: المقامة، تقديم د. شوقي ضيف، دار المعارف، بمصر، ط٣، د. ت.

– المبرد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م.

– ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، د.ت.

– الهدهد: د. سوسن: لغة القرآن في قصة أصحاب الجنة (دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي)، مجلة الزهراء، العدد الثلاثون، الجزء الأول، ٢٠٢٠م.

– هلال: د. عبدالغفار حامد: علم اللغة بين القديم والحديث، ط٤، ٢٠٠٢م.

– الهمذاني: مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني شرحها ووقف على طبعها محمد محيي الدين عبدالحميد، وعُنِي بنشرها محمد سعيد الرافع صاحب المكتبة الأزهرية، ١٩٢٣م.

– ابن يعيش: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، د. ت